عبير الوعي

نصبح إلى الميسر .. وعيك الصعود

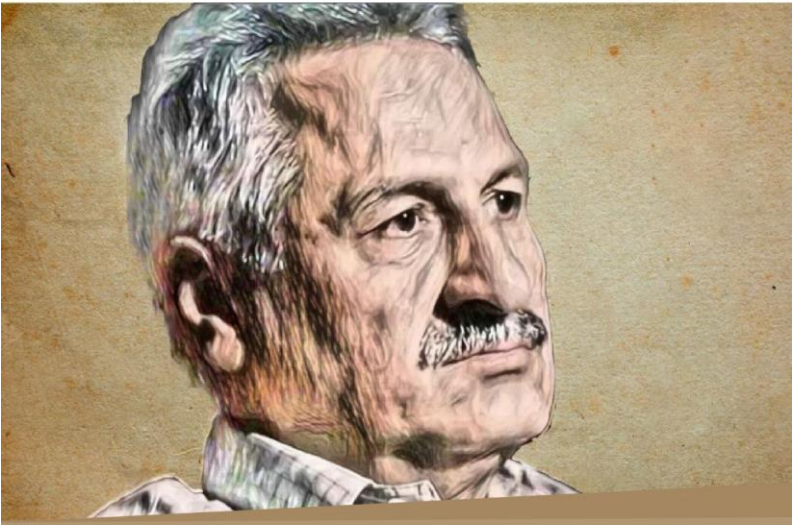

في وداع أبو مازن

رائد النشيد الحركي

في وداع أبو مازن

رائد النشيد الحركي

إعداد: عبد الله يوسف

© الكتاب: في وداع رائد النشيد الحركي

إعداد: عبد الله يوسف

التصميم والإخراج:

جميع الحقوق محفوظة لدى

مؤسسة عبير الوعي الدولية

الطبعة الأولى

2023م – 1444هـ

مؤسسة عبير الوعي الدولية

فلسطين

على جميع مواقع التواصل الاجتماعي

Abeeralwa3e

للتواصل: 00972569984200

إهداء

إلى أجيال جاءت من بعده..

تربت على أناشيده وترانيمه..

فحملتها في قلبها وعياً..

ودأبت تنشرها في دنيا الناس

نهدي رسالتنا هذه،

عبير الوعي
نصنع لك المنبر .. وعليك الصعود

مقدمة

هو المهندس رضـــوان خليل عنان، ســـوري من مواليد 1952م، عرفه الشباب المسلم في أوائل الثمانينات باسم (أبو مازن)، واشـتهر الاسـم، وانتشـرت أسـاطير تجلب التعاطف نحوه، منها أنه معتقل مخضرم في سجن تدمر، أوقع به تعذيب هائل مات تحت وطأته، وأنهم قطعوا لسانه قبل أن يعدموه، وغير ذلك..

ذاع اسمه وتردَّد مع انتشار أشرطته التسعة، خصوصًا في السبعينيات والثمانينيات، والمشتهرة باسم (أناشيد أبي مازن)، وهو الرائد الحقيقي لمنشدي الصحوة.

صاحب: ملحمة الدعوة، وقصة شهيد، وأخي أنت حر، وآنست نور الله... وأنشد شريطًا عاشرًا (لا تحزني) عام 2000 بعدما تأكد أن أشرطته منتشرة ذائعة الصيت.

بدأ الإنشـــاد وهو طالب في الثانوية، وخلال عامين أنتج أشـــرطته التســـعة، ثم توقف عام 1970م. ومضـــى في حياته ليتخصـــص في الهندســـة، وخرج من ســـوريا ليفتح مصـــنعًا في مصـــر، يتعيش منه حتى يومنا هذا.. ولم يعد لها زائرًا إلا عام 1987..

جمع الكتـب التي احتوت على الأشـــعـار التي انتقـاهـا، ووضـــعها في مكان من بيته – لكونها تطارد كأنها ممنوعات – ثم بنى عليها جدارًا مِنَ الأحجار ليخفيها.

لم يعرِف مصـــير هـذه الشـــرائط، ولم يكن يعلم أنهـا انتشـرت انتشـارًا واسـعًا إلا بعد نحو عشـرين سـنة من إبداعها.

انتقى أشـــعاره التي لحنها وأدّاها من المجلات الدورية التي كانت تصـــدر في العالم الإســـلامي، ثم اتجه إلى دواوين الشـــعر الإســـلامي المعاصـــر منتقيًا منها، حتى عثر على

ديوان الشـــيخ إبراهيم عزت رحمـه الله فـأكثر من الأخـذ منه: ملحمة الدعوة، امرأة الشـهيد، اليوم عيد، مصـعب بن عمير، حبيبتي بلادي، الله أكبر، أخي أنت حر.. وغيرها. وكان ينوي غناء قصائد الديوان كلها.

تدور معظم أناشـيد أبي مازن في أشـــرطته التسـعة عن السجون والمعتقلات والمشانق، والجهاديات، والدعويات، والروحانيات، والموضـــوعات الإســـلامية العامة. ولكن أناشيد السجون والمعتقلات والمشانق والجهاديات أخذت الطابع العام لمعظم أشـــرطته، وقد كانت تُنشـــد بألحان حزينة تناسـب الأجواء التي يعيشـها السـجناء تحت أقبية السـجون الحالكة، وتحت سـياط السـجانين، وتأوهات المعذبين. ويمكن أن نصـف أشـرطة المنشـد أبي مازن بأنها نشيد أدب السجون والمعتقلات والمشانق.

المنشد الكبير أبو مازن في مقابلة لأول مرة[1]

أجرى الحوار: د. أكـرم رضـا

قال لي:

-أنا من مواليد 1952م.

نظرت إليه نظرة تعجب وتساؤل، فابتسم ..ولولا شعيرات بيضاء في رأسه ما صَدَّقت ..شابٌ يتوقَّد حماسًا، تتضح في ملامحه تلك السمات الشامية؛ البشرة البيضاء، والوجه المثلث، والأنف المُدَبَّب .. ليس بالطويل ولا القصير، معتدل القامة، رياضي الجسم.. في الخمسين من عمره. هذا هو المهندس (رضوان) الذي عرفه الشباب المسلم في أوائل الثمانينات باسم (أبو مازن) واشتهر الاسم وتردَّد مع

(1) المصدر: موقع "رابطة أدباء الشام" 2005/05/07م.

درَرِ الشعر العربي التي غَنَّاها على شرائطه التسعة، والمشهورة باسم (أناشيد أبي مازن). قلت له:

ملحمة الدعوة، قصة شهيد، أخي أنت حر، آنست نور الله...

متى تَمَّ إنتاج هذه المجموعة؟

قال:

-في الثانوية، انتهت هذه المجموعة بالكامل في عام 1970م.

قلتُ و أنا أخفي دهشتي:

-كان عندك ثماني عشرة سنة ؟! قال في ابتسامة يملؤها الخجل:

-نعم، تقريبًا.

- ومنذ أكثر من ثلاثين عامًا لم تسجِّل أي أناشيد؟!!

-مرت بنا ظروف صعبة، وداهمتنا مِحَنٌ شديدة أثَّرت على نشاط المساجد كلها. نسأل الله الثبات.

قلت له: آمين.

ونظرت إليه أستزيد، فقال:

-جمعتُ كلَّ الكتب التي احتوت على الأشعار ، ووضعتها في مكان من بيتي ... كنت أعتبرها كنزي الثمين، وكان يعتبرها النظام حينئذ ممنوعات... تصوَّر؛ بنيت عليها جدارًا مِنَ الأحجار لأخفيها.

رأيت الأسف في عينه وهو يقول:

-ثُمَّ باع أهلي البيت ، وهدموا المكان ، ووجدوا الكتب فوزعوها في أماكن متفرقة.

- فقلت: كان هذا في عام...

قال: 1980 م.

- وعمرك عندها حوالي ثمانية وعشرين عامًا.

عشر سنين محنة، ثُمَّ منذ الثمانينات وحتى اليوم اثنين وعشرين عامًا.. أين أبو مازن المنشد؟

لم أكن أدري مصير هذه الشرائط، ولم أكن أعلم أنها انتشرت على مستوى كبير هكذا إلا منذ سنتين، وحمدتُ الله أن الصوت وصل إلى الناس.

ابتسمت معاتبًا على هروبه من سؤالي، فقال في حياء شديد:

- لم أشأ أن أسجل أناشيد ليقال: إن هذا أبو مازن.. كنا نسجل الأناشيد كنوع من التربية؛ كان هناك برنامج ومنهج لتربية الشباب في هذا الوقت، والنشيد جزء منه، ولَمَّا ابتعدنا لم يكن هناك داع، وشعرت أنني لو سجلت مرة أخرى فإنه لا نِيَّةَ لي.

قلت في دهشة:

.لا نية لك؟!! ولمدة اثنين وعشرين عامًا لم تجد فيها نية ؟! .وجدتها منذ سنتين عندما عرض عليَّ بعضُ الشباب أن أنشد قصيدة عن القدس.. ولحنتها وأنشدتها.

-شعرت بأنه غير سعيد بالحديث عن هذا الماضي، وكان حريصًا كلَّ الحرص على ألا يظهر كما نراه نحن أو كما نعلم عنه ... كان كثير الحديث عن النية والشهرة وضياع الأجر.

-في أول حديثي معه كان ممتنعًا بشدة، وقال في انفعال

هادئ:

. ما الفائدة من عمل حوار أو حديث معي، والسؤال عن اسمي وعائلتي، وعدد أولادي، وابتسم وهو يقول: وماذا آكل، وماذا أشرب؟!

شاركته الابتسام، ولكنه عاد إلى انفعاله وقال:

- أظن لا فائدة ، المهم أن هناك صوت بين الناس ... الشرائط تكفي ... ولا داعي أن تضيع أجورُ أعمالنا.

شاركته انفعاله رافضًا وجهة نظره ، وقلت:

. يا أستاذي: أنتَ لستَ مِلكَ نفسك الآن ، أنت رائد الأنشودة الإسلامية ، لقد كانت شرائط أبي مازن أول ما سمعنا كتجربة وُلِدَتْ عملاقة.

قاطعني:

لم أكن الأول، أنا سمعت أناشيد ومنشدين قبلي.. أردت أن أقاطعه، ولكنه لم يعطني الفرصة.

. قد تكون شرائطي أكثر حَظًّا في الانتشار، المهم أنها موجودة الآن بين أيديكم..

قلت له:

هل ترضيك تلك الأساطير التي نُسِجَتْ حولك؟! ما من أحد يعلم أنك حي إلا ويفتح فمه دهشة.

عاد إلى هدوئه وقال:

لا يرضيني هذا، ولا ترضيني الدعاية التي لا داعي لها.

قلت له:

-تتميز شرائط أبي مازن وأناشيده بالانتقاء الجيد للكلمات ، وكثير من أساتذتنا ما كنا نعرف شعرهم إلا بعد أن سمعناه في شرائط أبي مازن (مسلمون) للشيخ يوسف القرضاوي ، (الصين لنا) لمحمد إقبال ، (أخي أنت حر) لسيد قطب، وهاشم الرفاعي، ويوسف العظم، ومصطفى حمام، وغيرهم..

قال:

-كنت أنتقي من المجلات الدورية التي كانت تصدر في العالم الإسلامي وتصل إلينا ، وكانت هناك مجلة لبنانية

، الحقيقة كانت أكبر زاد لي، ثم بدأت أفتح كتب الشعر وأنتقي منها..

وكانت هناك قصائد جميلة ولكن وقفتْ أمامي عند التلحين فأجلتها بعض الوقت.

- والشيخ إبراهيم عزت رحمه الله؟

وكأني نثرتُ عليه نفحة من عطر، عندما برقت عيناه بشدة وهو ينظر إليَّ في عاطفة لم أجدها منه منذ بداية لقائنا.

قال:

-تصوَّر.. لم أكن أعلم اسمه، ولا أعرف أنه شيخ وخطيب إلا منذ سنتين.

شاركته عاطفته وقلت:

-العجيب أن الناس لا يعرفون – أيضًا - أن تلك القصائد الجميلة التي تناثرت في شرائطك التسعة هي من تأليف الشيخ إبراهيم عزت ، وعلى رأسها تلك الروائع: (ملحمة

الدعوة) و (اليوم عيد) و (مصعب بن عمير) و (حبيبتي بلادي).

قال:

و(الله أكبر)

قلت:

ما أروعه وهو يُدَوّي بها قائلاً:

الله أكبر بسم الله مجراها

الله أكبر بالتَّقوى سنرسيها

الله أكبر قولوها بلا وَجَلٍ

زيّنوا القلبَ مِن مغزى معانيها

وأخذ أبو مازن يردد معي:

إن لم نردها لدين الله عاصفة

سندفع العِرْضُ بعد الأرضِ نعطيها

قام من مقعده، ومَدَّ يده ليخرج كتابًا صغير الحجم مصوَّرًا، وأعطاه لي وقال:

- هذا ديوانه.

قرأت على الغلاف (حبيبتي بلادي) شعر إبراهيم عزت سليمان.

نظرت إليه متسائلاً، فأنا أعلم أن ديوان الشيخ إبراهيم اسمه (الله أكبر).

قال وكأنه قرأ سؤالي في عيني:

- لقد اجتهد مَنْ صوَّروه ووضعوا على غلافه عنوان: **(حبيبتي بلادي)** اسمه الذي اختاره له الشيخ هو **(الله أكبر).**

قلت وكأنني أهادي:

- عندي كتاب باسم (الشيخ إبراهيم عزت حياته وشعره) تأليف د. حسن عبد السلام ، أخذته من أسرة الشيخ - رحمه الله - وشريط فيديو مسجل لحلقات تليفزيونية له ، وأكثر من ثلاثمائة شريط لخطب الجمعة التي كان يلقيها بمسجد أنس بن مالك بالمهندسين بالجيزة.

نظر إليَّ وكان عندي أكبر مِنْ أَنْ يطلب..

فقلت بسرعة:

- سوف أحضر كل ذلك لك.

قال وقد دَبَّ النشاط به:

- كنت أنوي غناء كل قصائد الديوان، الحقيقية لقد أوجد إبراهيم عزت عندي عقدة؛ فلم أعد أتذوق الكثير من الشعر بسبب قراءتي وحبي لشعره.

وكأني تعلقت بشعاع أمل، فقلت له بسرعة:

إذا فسنسمع لأبي مازن أناشيد جديدة.

قال مبتسمًا:

هناك فكرة إعادة الشرائط التسعة بإمكانيات أفضل؛ فأنا استمعت إليها ووجدت فيها مشاكل كثيرة..

ولم أعلم معنى ابتسامته إلا حين قال:

- كنا نسجِّل بإمكانيات بسيطة جدًّا، وكان الشريط عندما يخرج يسجل هذا نسخة وهذا نسخة مِنْ نسخة، وفي كل مرحلة يضعف التسجيل فيها ، حتى أصبح ضعيفًا جدًّا ، ونفكر الآن في أن نعيد الشرائط مرة أخرى.

استفزني كلامه كباحث أدواته التوثيق ، فقلت له:

. المهم أن لا تتغير عن القديمة .. لا صوتًا ولا لَحْنًا ولا كلمات.

قال في جِدِّيَّة:

- لا، مجرد استخدام الوسائل الجديدة في عرض المؤثرات. مثلاً في قصيدة (امرأة الشهيد) هذه الصيحات التي تتردد كانت بسيطة جدًّا.

قلت له بسرعة:

وكانت مُعَبِّرة أيضًا عندما يقول الشاعر:

"هو مشهد من قصة حمراء في أرض خضيبة"..... فيرد الكورال بصيحات قوية:

"صيغة وقائعها على جُدُرٍ مضرجة رهيبة" ... فيرد بنفس الصيحات.

قال لي:

-هذه الصيحات مستمدة فكرتها من سيمفونية الجيش الأحمر ، والتي تعبر بشدة عن الإرهاب ، فكل ما أريده أن تخرج بإمكانيات أفضل.

قلتُ له متأسِّفاً:

- الحقيقة أن شرائط أبو مازن التسعة تعتبر تراثًا ، والذي يحفظ للتراث أصالته المحافظة عليه كما هو بلا تغيير؛ ليكون مصدرًا جيدًا لاستنباط واستلهام مَنْ سيأتي بعد .. وما حدث في الشرائط عندما أنتجتها إحدى الشركات في (ألبوم) أنيق أنهم غيروا وبدلوا في الترتيب ، بل وأوجدوا شريطًا عاشرًا اسمه (نشيد الكتائب) وهو تجميع لأناشيد من الشرائط ، ولم يشيروا إلى ذلك ، بل وحذفوا أكثر من قصيدة ؛ مثل: أخي أنت حر ، لَمَّا ناقشتهم كان الرد هو الترخيص.

ثم كان سؤالي الذي ينتظره الجميع:

ترى هل تعود؟ هل تعود للطريق؟

ابتسم وهو ينظر إليَّ نظرة ذات مغزى، وقال:

عائد أنا إلى الطريق.

قلت له بجدية:

ولكن عندي اعتراض..

انتبه بشدة، فقلت:

كانت القصائد - أو أقول معظمها - التي اخترتها وأنت في سن الثمانية عشر، وفي ظلال العمل الإسلامي المطارد ، الواقع تحت مقصلة المحنة كلها تُعَبِّر عن واقع أعتقد أن الدعوة الإسلامية قد عَبَرَتْه، على الرغم من أن هناك بقايا محن متناثرة ..

إن (ملحمة الدعوة) و(قصة شهيد) و(امرأة الشهيد) و(لكِ اللهُ يا دعوةَ الخالدين) وغيرها، هي قصائد تُعَبِّر عن مرحلة زمنية، فهل تفكر إلى جانب ذلك في نشيد يعبر عن واقعنا، ويكون النشيد ترجمة لمفردات الدعوة في العصر الحديث.

نظر إليَّ بفهم، ولكنه يستزيد..

قلت له:

- مثلاً : نريد نشيد عن القيم التي يريدها الإسلام للناس ، قيم على مستوى الفرد والأسرة والجماعة ؛ قيم النظافة والنظام والعلاقات السويَّة ، قيم الأمانة واحترام الكبير،

قيم حب الوطن والرغبة في عودة العزة والكرامة للمسلمين ، كل هذه القيم نريدها وأكثر .

ابتسمت وأنا أقول له:

- نريد إعلاء قيمة الحب.

فتح ديوان الشيخ إبراهيم عزت وهو ينظر إليَّ ويقول:

- كأنك قلت هذا الكلام للشيخ إبراهيم - رحمه الله - عندما كتب هذه القصيدة.. وكأني سمعته منك وأنا أختارها لألحنها وأغنيها إن شاء الله.

انتبهت بكل ذرة في جسدي وأنا أريد أن أقتنص الديوان منه؛ لأعلم هذه القصيدة.

قال لي وهو يعطيني الديوان:

قصيدة: (خِطْبَةُ مسلم) وأخذتُ ألْتَهِمُ الأبياتِ بعيني وأنا أسمعه كأنه يُعَلِّق على ما أقرأ؛ قال:

- عجيبة هذه القصيدة؛ إنه يُعَبِّر عن أحاسيسنا جميعًا في مرحلة الشباب عندما ذهبنا لخطبة فتاة لتكون زوجة

لنا، إنه قرأ كلَّ ما يدور في أحلامنا وسجلها بلفظ جميل.
بدأت أرفع صوتي بأبيات في القصيدة:
نعم، أعشقُ الوَصْلَ بعد الرضا ... وأسبحُ في روضةٍ وأنعم
وأبدي الرَّغائِبَ مَشْبُوبةً ... طواها الحبُّ فلا تُضْرَمُ
قال مقاطعاً:
- أنظر إليه يتحدث عن الغريب.. مَنْ هذا الغريب؟
بدأت أقرأ..
وفي الدربِ هَمْسٌ بلا تقبُّلِ الوصل ... لأنَّ الغريبَ هنا يَحْرُمُ
لأنَّا بَسَطْنَا شراعَ الضياءِ ... فَصَاحَ الجَبَابِرُ أَنِ اظلموا
ويهتفُ أنَّ باطلٌ سَعيَكُم ... فتصرخُ أصواتُهُم حَطِّمُوا
فَمَا لَكِ هِمْتِ بهذا الغريبِ .. وهل تحلمينَ بالذي يِعْزِمُ

وعدنا معًا من أَسْرِ إبراهيم عزت الشاعر الذي يهواه أبو مازن، والشيخ الذي أُحِبُّه وأدين له بالكثير.
وقلت له:

للشاعر هاشم الرفاعي قصيدة رائعة في ديوانه حول نفس المعنى، يقول في مطلعها:

تُسَائِلُنِي مَنِ الجَانِي ... عَلَى قَلْبِي وَوِجْدَانِي

وَمَنْ مِنَّا الذي خَانَ ... عَنْ قَصْدٍ هَوَى الثَّانِي

إنها تدور حول المعاني نفسها، وسوف أبحث عنها؛ لأرسلها لك إن شاء الله.

وفاجأته بسؤالي مداعبًا:

تُرَى كم عدد أولادك يا باشمهندس رضوان؟

ابتسم في عتاب وقال:

- أربع بنات.

ابتسمت بشدة فنظر إليَّ متسائلاً..

قلت له: أنا عندي ثلاث بنات، والرابعة في الطريق إن شاء الله.

وزاد الحديث بيننا دفئًا، ووعدني أن يستمر حوارنا من القلب وإلى القلب..

عرفته في أول الطريق ... صوتًا يأتي من قريب ... أحببته ... إن زاد المسافر وأنس الغريب...

عشرون عامًا أسمعه ولا يسمعني، أشعر بفيض الحب فِيضُ في كلماته من قلبه، فيروي قلبي:

"أحباب ديني ... إخوتي ... إخواني... إخواني كالشمعة تبكي وتحرق نفسها..... في لهفة للدعوة" ثم التقينا... وفي لحظة لم تتعدَ اللحظة كان التلاقي والحب لغة واحدة ، وهَمٌّ واحد ، وكأني أعرفه منذ عشرين سنة، وكأنه يعرفني من حينها ...

لم تقوَ الأكف على الافتراق زمنًا وأنا أهز يده ويهز يدي ، وكان آخر ما بيننا عند الفراق ابتسامة لا يستطيع أحدٌ أن يترجِمَ ما تحمله من معاني .

قلت له: إلى اللقاء.

لم يزدْ على أن ابتسم..

مسحتُ دمعة تساقطت على خدِّي وأنا أقود سيارتي مبتعدًا عنه، وهو يلوّح بكفه، وسمعته بملأ وجداني

يجلجل صوته، وتملأ صورته بجوار صورة الشيخ إبراهيم عزت - رحمة الله عليه - كلَّ فراغ الأسى في نفسي ...

حبيبتي بلادي
نسيتُ في موائد الثناء
سيدًا يعشق الفداء
الموت عنده حياة
أحب دائماً أن تُرْفَعَ الجباه
أحب أن يراك مسجداً مقدَّساً ثَرَاه
شغلت عنه بالبريق
من سيطفئ الحريق غيره
ومن سيمسح الجراح إن جهلت سِرَّه؟
حبيبتي بلادي
قد كنتُ أصنع الكلامَ مِنْ دمي
وكنت أعزف النشيد هامسًا
لعله إلى الفؤاد ينتمي
وكنت أكتبُ الحروفَ واحدًا فواحدًا

لتقرئي.. لتفهمي
وكنتِ يا حبيبتي وكنتِ
والآن يا حبيبتي
لن أكمل الحديث
وإن بدا مُشَوَّقًا
فليس ما أريده إثارة الطَرَب
أو أن تحرّكي الشفاه من دلائل العجب
ولن أُتِمَّ يا حبيبتي النغم
فقد رأيت ما يُحَرِّم النشيد ألف عام
فصرت كلما بدأت بالغناء
أجهشت في البكاء
أجهشت بالبكاء
حبيبتي
ولم تزل في أفقنا بقيةٌ مِنَ الرَّجاء
حَطِّمي قيوده
لتحتمي بِسِرْبِه

لتصنعي حياتنا به
لتسمعي دعاءه.. بكاءه
يستمطر السماء زَادَه.. ونَصْرَه
ويستغيثُ رَبَّه
فحطمي قيوده...

والتفتُّ إليهما وأنا أرى دمعات سالت على وجنتيهما، ولكن ابتسامة من شفتي الشيخ إبراهيم عزت كأنها مسحت الدموع من عيوننا..
وسألت أبا مازن في نفسي:
وبعد
وبعد ما رأيت ما رأيت
هل تعود للطريق؟ هل تعود؟
واهتز قلبي الذي قد هَدَّه العذابْ
أحسست رعشةً بجسمي الذي يخاف غضبةَ الكلابْ
وجاء ضعفي الكئيب جاءْ

عرفته في كلِّ لحظة مِنَ الضَّنَى قد عشتها
أَتَى يقدِّمُ الرَّجَاءْ
تعلقت عيناه بالجوابْ
يا تُرَى، وبعد
هل تعود؟ ... هل تعود؟
وسمعت هتافه الدافئ وأنا أنطلق في طريقي:
"عائد أنا من حيث أتيت
عائد أنا لمسجدي
عائد إلى الصلاة والركوع والسجود
عائد إلى الطريق خلف أحمدَ الرسول
أطلق الخُطَى حزينةً في إِثْرِه
عرفت قصة الطريق كلها
وعائد أنا برغمهما
كالفجر ... كالصباح ... مُقْدِمٌ وباسم
والخطو كالرياح عاصف وعارم"

أبو مازن.. الصوت الساحر [2]

الجزء الثاني

أجرى الحوار: د. أكـرم رضـا

البدايات

رحماك يا رب العباد رجائي ورضاك قصدي فاستجب لي دعائي..

وحماك أبغي يا إلهي راجيًا منك الرضا وَجُدْ بولائي ..

هكذا انساب صوت أبي مازن الخاشع في أجواء سيارتي وأنا في طريقي للقائه بعد نشر لقائي الأول معه على شبكة الإنترنت.

---

(2) المصدر: موقع "رابطة أدباء الشام" 2005/05/07م.

وبعد ذلك الحجم الهائل من رَدِّ الفعل المتوقع ، والذي سَبَّبَه ذلك الحوار؛ حيث إنه منذ أكثر من عشرين سنة كان مصير هذه الشخصية التي أثَّرت في وجدان الكثيرين مجهولا.

كنت أتمنى أن يحدثني اليوم عن البدايات . وفي شقته الأنيقة في أحد الأحياء الجديدة في القاهرة كانت جِلْسَتُنَا التي يفضلها ؛ بعيدًا عن أجواء العمل في مصنع الصوف الذي يمتلكه قريبًا من بيته .

كان الحوار السابق بين يديه وقد انتهى من قراءته، وقرأ تساؤلي في عيني فقال مباشرة:

- مقال يتميز بالعاطفة، جزاك الله خيرًا.

شعرت أن كثيرًا من تردده السابق حول الحوارات واللقاءات بدأ يزول، فقلت له مباشرة:

- رضوان خليل عنان؟

قال:

- من مواليد دمشق 1952/2/10م حي الميدان، ونشأت في حي المهاجرين.

قلت له:

- هل تستطيع أن تصف لي دمشق وقتها؟

ابتسم وقال:

- وقتها وحتى الآن تشبه القاهرة القديمة، والمسجد الأموي يقع في مركزها.

- هل سافرت إلى دمشق بعد خروجك من سوريا عام 1987م؟

- نعم، والحمد لله أُغْلِقَتِ الملفات تقريبًا.

قلت له في حذر:

- أريد أن أسأل عن البدايات ...

وكأنه استوعب حذري فشجعني مبتسمًا، وقال:

- في الابتدائي كنا من رواد مسجد المرابط في حي المهاجرين، القريب من بيت الدكتور مصطفى السباعي، وكان يحاضر

فيه الكثيرون من العلماء في تخصصات مختلفة.

قلت:

- عجيب هذا التوافق؛ مسجد المرابط حي المهاجرين، وكأنما ارتبطت حياتك بالهجرة والمهاجرين، والرباط والمرابطين، فخرجتْ في أناشيدك كلمات وألحانًا.

ابتسم وقال:

- هي الشام أرض الرباط ومنطلق الفتح، هكذا طبيعتها التي خلقها الله عليها.

واستمر يحكي..

د. أمين المصري

- أولى الشخصيات التي تأثرت بها خطيب المسجد؛ الدكتور أمين المصري، كان أستاذًا للشريعة، وحصل على الدكتوراه من جامعة كامبردج في لندن. كانت خطبته مميزة بالنسبة لمساجد دمشق كلها؛ كأنه يعرض إسلامًا جديدًا، إسلامًا حيًّا، ليس محفوظًا في

دراسة أكاديمية، ولا مطلسمًا في شعائر غريبة عنه، كان يعرض إسلام التغيير للحياة كلها.

- كان ذلك في أي عام؟

- حوالي 1962م وما بعدها.

- كان سنك حوالي عشر سنوات.

- لقد اهتم بنا الشباب الأكبر مِنَّا سنًّا؛ فكانوا يقيمون لنا نشاطًا رياضيًّا وثقافيًّا وتحفيظًا للقرآن، وإلى جانب ذلك كانوا يعقدون لنا دروسًا مدرسية لتقويتنا، كان شعارنا التفوق العلمي.

- وتفوقتم علميًّا؟

- ودخلت المدرسة الثانوية القسم العلمي، ثم كلية العلوم جامعة دمشق، قسم الرياضيات والفيزياء.

- هل لي أن أسأل لماذا هذه الكلية وذلك القسم؟

- لأصبح مدرسًا؛ فالمدرس هو طريق مهم للاحتكاك بالمجتمع.

نظر لي كأنه يلقي درسًا وقال:

- لقد تربينا أن نكون دعاة.. هل تعلم ماذا يعني أن تكون داعية؟ أن تكون مسؤولا مسؤولية كاملة عن دعوة الناس إلى الإسلام، وأن تكون قراراتك كلها في الحياة تخدم هذه المسؤولية.

فكرة الإنشاد

ترك لي دفة الحديث، فأردت أن أديرها إلى جهة أخرى.. قلت:

- نعود إلى الإنشاد؛ كيف بدأ، وما هي ظروفه، وما هي فكرة شرائط أبي مازن؟

قاطعني مبتسمًا ابتسامة دافئة وقال:

- كان النشاط في المسجد متعدد الجوانب كما قلت لك؛ رحلات.. مسابقات إلى جانب ذلك كان هناك النشيد الديني، وكانت الأناشيد حينها تسمى الموشحات، وتدور في خطين؛ إما المديح النبوي أو التسبيحات، وكانت تنتشر في حفلات عقد القرآن.

أذكر من المنشدين المعروفين في ذلك الوقت سليمان داود وتوفيق المنجد.

قلت:

- وأبو راتب، وأبو الجود؟

- أبو راتب بعدي بزمن، ولكن أبا الجود من سني. أنت تعلم أنه الشاعر محمد منذر سرميني.

- أأنشدتَ له قصيدة في شرائط أبي مازن؟

- نعم "رحماك يا رب العباد رجائي".. وبعض أبيات أخرى كمقدمة لقصيدة الصلاة.

ورددت الأبيات فردد معي:

يا إلهي عبدك العاصي أتى بذنوب هل له من توبة؟
يطرق الأبواب يبكي ندمًا سوء أيام مضت في الخيبة

- نعم فمنذر من حلب .... حيث كانت تظلل عليها رياح الصوفية ..... حيث (الحَضَرَات والذكر) وكان شعره ونشيده في البداية يدور في هذا الجو، ثم تعرَّف على سليم زنجير وكوَّنا فرقة أبي الجود.

- سليم عبد القادر زنجير الذي جمع أشعار الفرقة في كتاب (نشيدنا) وكتب له مقدمة رائعة الدكتور عبد الله ناصح علوان.

- عندما تكوَّنتِ الفرقة كان سليم زنجير محيطًا بمنذر، وكانت صداقتهما سببًا في نقل منذر من جو التصوف إلى البحث عن شعر الدعوة.

- واضح ذلك عند المقارنة بين شعر منذر الذي يميل إلى النشيد والمناجاة كما هو واضح في قصيدة رحماك، وشعر سليم زنجير الذي يميل إلى القوة المفعمة بمعاني الجهاد ؛ يقول في قصيدة جاهد :

جاهد في الله أخيَّ
جاهد إن كنت تقيًّا
تملك آفاق الدنيا
وتلاقي الله رضيًّا

ويقول في قصيدة أنا مسلم :

أنا مسلم لن أستكين

أبدًا ولن أخشى المنونَ
على اتِّباعِ الحقِّ دومًا
أقسمتُ لله اليمينَ

- ومنذر أيضًا له قصائد في الجهاد، ولكن نلاحظ ذلك في الاختيارات الأخرى التي أنشدها أبو الجود بعد ذلك.
- نعم؛ فهناك إحدى عشرة قصيدة من التي أنشدتها أنتَ في شرائط أبي مازن أنشدها أبو الجود، وكلها لشعراء الدعوة الإسلامية أمثال: "جدد العهد وجنبني الكلام"، "يا رسول الله هل يرضيك أنَّا"، "الليل ولَّى"، "هو الحق يحشد أجناده" وغيرها.

التوجهات الفكرية

وأردت أن أدور بدفة الحديث إلى اتجاه آخر فقلت له وأنا أقلب أوراقي أمامي:
- كأن حلب ودمشق ليستا في دولة واحدة؛ فهناك توجه صوفي في حلب، وتوجه دعوي جهادي في دمشق على ما

فهمت.

- كانت حلب أميل إلى التوجه الصوفي، ولكن دمشق كانت متعددة المشارب، وكان كلُّ مسجد له اتجاه.

- كان ذلك في أي عام؟

- في الفترة الزمنية من 1970م إلى ما بعدها.

- كان عمرك حوالي ثمانية عشر عامًا وقتها، وهو بداية التكوين الفكري.

- كان هناك اتجاه التصوف في بعض مساجد دمشق ، وكان اتجاهًا مُغْرِقًا في التعصب ، لدرجة أن المسجد الأموي كانت فيه أربعة محاريب للمذاهب الأربعة ، وكل فريضة تقام فيها أربع جماعات ، وهذا موجود إلى الآن . وكنا في مسجد المرابط نحارب مقولة المتصوفة : (أغلق عقلك واتبعني) وكان لوجود الشيخ الألباني – رحمه الله- أثر كبير جدًّا ؛ حيث كان يحارب التعصب ، ويدعم تربيتنا على أن نتعصب للدليل لا للأفراد .

ثم كان هناك اتجاه ثالث وسط بين هذا الوعي وذلك التعصب، وهذا اتجاه عامة المساجد.

- والتبليغ؟

كانت هناك بعض الجماعات الصغيرة تأتي من باكستان. فلم يكن هذا الاتجاه منتشرًا.

- والإخوان المسلمون؟

- كان لهم نشاط قبل محنتهم، وذلك قبل عام 1962م، وبعدها لم يكن لهم نشاط واضح؛ فقد كانوا في السجون، ولم ألحق بقادتهم؛ أمثال عصام العطار، والمجاهدين في فلسطين.

- من الإشاعات التي كانت تتردد عنك أنك كنت عضوًا بارزًا من أعضاء جماعة الإخوان المسلمين في سوريا، وكنت من المشاركين في أحداث حماة 1984م، وأنك قتلت فيها، أو سجنت وقتلت في مذبحة (سجن تدمر).

ابتسم وكأنه يعود بالزمان إلى الوراء، أو يعود إليه وقال:

- لم يكن لي ارتباط تنظيمي مع الإخوان، ولكن لا أنكر

تأثري الفكري بمنهجهم المنضبط من خلال التربية الأولى في مسجد المرابط، ووجود الدكتور مصطفى السباعي والدكتور أمين المصري .

ميلاد الشرائط

وشعرت أن دفة الحديث اتجهت نحو نقاط ساخنة، فأردت أن أؤجل الحديث عنها، فقلت بعد لحظة سكون:

- نعود إلى الإنشاد والبداية.

قال موافقًا على نقل دفة الحديث:

- البداية كما قلت من قبل في المسجد ؛ كنا نشارك في بعض الأناشيد حتى رشحني بعض الأخوة لأنشد بمفردي ، وكان لي صديق ونحن في الصف الأول الثانوي فأحضر آلة تسجيل – وكانت تلك الأجهزة نادرة في تلك الأيام - فشجعني أن أسجل في حجرة مغلقة ، وكان أول نشيد (أخي أنت حر) لسيد قطب .

ولم نسجل النشيد كله ؛ فقد سجلت مذهبًا و(كوبليه) واحد ، واحتفظنا به ، ولاحظت أنه بدأ يتداول ، فأعطانا ذلك حافزًا قويًّا ، وكبر الموضوع .

وأحضرنا آلة تسجيل (بَكَر) كبيرة، وجمعنا الكورال من الأخوة في المسجد حتى تمت القصائد، ثم تم تقسيمها، فخرجت في تسعة شرائط.

- هل كان هناك نظام محدد للتقسيم؟ موضوعي مثلا.

- لا؛ ولكن بعد أن انتهينا من الأناشيد كلها قسمناها على الكاسيت فأصبحت تسعة.

- في كم سنة استغرق تسجيل التسعة شرائط؟

- من سنتين إلى ثلاثة.

- أي بدأتَ في الصف الأول الثانوي وتوقفت عند دخول الجامعة؟

أليس شيئًا عجيبًا أن تأخذ تجربة شباب في سن الخامسة عشر إلى الثامنة عشر هذا الحجم الواسع من التأثير في محيط الدعوة، مع روعة الكلمات والألحان؟!!

- قل: بتوفيق الله تعالى، إلى جانب العمل الجاد والإخلاص.
- اسأل الله أن نكون كذلك.
- كلمات بمثل هذا الانتقاء، وألحان بمثل هذه الروعة، ولم تكونوا متخصصين؟!!
- كيف كنت تختار الكلمات، وهل نظمت الشعر؟
- بداية أنا كنت قارئ شعر جيد، ولم أكن أنظم الشعر، فكنت أتذوق الكلمات؛ مثل ا: قصيدة **(مسلمون)** للشيخ القرضاوي كانت منشورة في عدد من أعداد مجلة العربي، وكتبها أحد الإخوة على سبورة مسجد المرابط، وفي صلاة المغرب قرأتها، فلحَّنتها وسجلتها.

وقصيدة **(الصين لنا)** لمحمد إقبال كان الإخوة يعلمونا إياها كشعر، وكنا نعرفها جيدًا فلحنتها وسجلتها. وبعد حصولي على ديوان **(الله أكبر)** للشيخ إبراهيم عزت لم أسجل لشاعر آخر.

قلت مبتسمًا:

- نعم؛ أخبرتنا في اللقاء السابق أنك عندك عقدة تذوق لأي شعر بعد شعر إبراهيم عزت.

- لقد شعرت أن هذا الرجل يكتب ما لو كنت شاعرًا لكتبته.

- لنا لقاء خاص حول إبراهيم عزت إن شاء الله.

- يا ليت .

- وجودت سعيد، وأمين المصري، وهؤلاء الذين أثروا في مسيرتك الفكرية سنعود للحديث عنهم إن شاء الله. ولكن نعود إلى النشيد؛ هذا بالنسبة للكلمات، وبالنسبة للألحان؛ هل لحن لك أحد؟

- لا؛ معظم القصائد لحنتها بنفسي.

- ولكن بعض القصائد التي أنشدتها كانت أناشيد يرددها رجال الدعوة، وجوالة الدعوة في الأربعينات في مصر؛ مثل: "هو الحق يحشد أجناده"، "يا رسول الله هل يرضيك أنَّا"، "في حماك ربنا"، وغيرها. ألم تصلك ألحان هذه الأناشيد وتأثرت بها؟

- قليل جدًّا؛ مثل: نشيد (العلا إن العلا) سمعت لحنه من الدكتور أمين المصري، وأخذت 80% من هذا اللحن، وقصيدة مثل: (يا رسول الله هل يرضيك أنَّا) تأخر لحنها جدًّا وأجلتها كثيرًا؛ لأن بحرها كان صعبًا جدًّا.. كنت أفكر أن ألحنها على لحن نشيد الجزائر الوطني.

سمعت نشيد (مسلمون) يومًا يردده الشباب، وكان الشيخ يوسف القرضاوي يردده معهم ونحن في الجامعة، فكان لحنه هو ما لحنته أنت، بل وكثير من أناشيدك أعيد تلحينها، ولكن يشعر المستمع أن الأفضل أن تظلَّ كما لَحَّنَهَا أبو مازن.

- هذا من فضل الله.

- ما هي مشروعاتك القادمة إن شاء الله؟

- كنت أنوي تلحين بقية ديوان الشيخ إبراهيم عزت، وأعمل فيه هذه الأيام.

كان الوقت كأبيات قصيدة جميلة، وسرعان ما انتهى كأنغام نشيد عذب يحلو تكراره.

ولكن حان الفراق إلى لقاء، وكان آخر سؤال وجهته له وأنا أبتسم:

- وكيف لُقِّبَ المهندس رضوان بأبي مازن؟

قال وهو يبادلني الابتسام:

- هكذا أهل الشام يحبون الألقاب، وكان هذا لقبي من صغري.

قلت مداعبًا:

- ورزقت بأربع بنات وبقي (مازن).

قال:

- وكان عندنا مازن، ولكنه توفي صغيرًا، كان تؤمًا لابنتي الصغيرة، وأشار إلى ابنته الرقيقة ذات السبع سنوات التي جاءت لترحب بنا.

وانطلقت على وعد بلقاء، ولا زال صوته الدافئ يترد في مسامعي:

حبيبتي بلادي

وكلهم بالأمس كان في الهوا متيَّمًا

وأين هم في ليلك الحزين يا بلادي؟
وأين يا حبيبتي غناء شاعرك
قد سال بحره منغَّمًا مِنْ بسمتك؟
وأين يا حبيبتي يمين عاشق
أتاك يسبق الرياح كي يرى بجانبك
الرعب يسبق الخطى لخصمه،
وألف سهم للصدور تفتدى بسهمه
وحفنة الرمال من يديه
تملأ العيون بالعمى
وسيفه بريقها صواعق
ستحفظ الحمى
ستحفظ الحمى
ستحفظ الحمى
وحانت مِني التفاتة إلى الخلف حيث هو، فوجدت ابتسامته لا زالت تملأ وجهه، وانطلقت بسيارتي وصوته ظل يجوب أجواءها:

انشر ضياءك مشرقًا متألقًا يا أخي
متلألئ القَسَمَاتِ حلو المَبْسَمِ
وابعث نداءك عاليًا وأقرع به
سمعَ الغُفَاةِ الغافلين النُّوَّم
فنداؤك العلوي يخلق هِزَّة
بمسامع الصَّخرِ الأصمِّ الأبكم.

عبير الوعي
نصنع لك المنبر .. وعليك الصعود

أبو مازن.. رائد النشيد الإسلامي الدعوي[3]

بقلم: محسن محمد صالح

كان يوماً استثنائياً عندما أصبح لديّ من المدّخرات ما يُمكِّنني من شراء أشرطة الكاسيت التسعة التي تحوي أناشيد أبي مازن. كان ذلك في أواخر سبعينيات القرن العشرين، وكنت ما زلت طالباً في المدرسة، حيث حثثت الخطى إلى مكتبة المنار في منطقة حولّي بالكويت، وعندما اشتريتها شعرت "وكأنما حيزت لي الدنيا"!!

عبير الوعي
نصنع لك المنبر .. وعليك الصعود

(3) المصدر: موقع عربي 21، 2023/03/18م

رحم الله أبا مازن (رضـــوان خليل عنان) الذي تُوفي في 15 آذار/ مارس 2023، ابن دمشـق الذي تُوفي في القاهرة عن عمر يناهز 71 عاماً.

بالنسبة لنا أبناء ذلك الجيل، كان أبو مازن منشد الصحوة الإسلامية الأول؛ وكان في سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين، بالنسبة للكثيرين **متربعاً** على "عرش" النشيد الإسلامي. وما زلتُ حتى الآن أرى أنه رائد مدرسة الإنشاد الإسلامي الرسالي التربوي التعبوي الحركي.

وما زلت أذكر كيف أن أحد "مشـايخنا الشـباب" أراد أن يُسـمعنا آخر شـريط وصله لأبي مازن، فأركبنا في سـيارته البيجو 404 وانطلق بنا، حيث فتح جهاز التسـجيل على "ملحمة الدعوة" (الشـريط السـابع) فسـمعنا صـوتاً "ملائكياً" عميقاً يقتحم قلبك ويهز مشـاعرك وكيانك، ويسـمو بك، في الوقت الذي يغرس فيك معاني الإيمان

والصبر والتضحية والثبات. شعرتُ في تلك اللحظة كيف يمكن أن تتحول الأنشودة إلى وسيلة تربوية، وأداة ارتقاء نفسي ومعنوي، ورافعة لمعاني العزة والكرامة والثقة بالله سبحانه، وبنصره للمؤمنين.

بماذا تميّز أبو مازن؟

تميّز أبو مازن رحمه الله بـ:

1. جمال الصوت وروعته وتأثيره، وبطريقة تلامس القلوب وتأسرها؛ ولعل ذلك كان من علامات إخلاصه وصدقه.

2. القدرة الإبداعية على التعامل مع النصوص وتحويلها إلى أناشيد، يتوافق فيها اللحن والمعنى وينسجمان، بحيث يُخرج من النص أجمل ما فيه تَرنّماً ونشيداً.

3. عدم الحاجة إلى أدوات موسيقية في النشيد، وحتى الطبل والدّف لم يستخدمهما. وربما يعود ذلك إلى نقاشات الإسلاميين وجيل الصحوة في تلك الفترة حول شرعية استخدام الموسيقى في الأناشيد، حيث كانت الأغلبية لا تميل لذلك. وحتى استخدام الدّف كان الاتجاه العام هو قصر استخدامه على الأعراس والأفراح. ولكن اللافت هنا، هو القدرة الاستثنائية لأبي مازن على أن يوفر لجيل الصحوة عشرات الأناشيد الحماسية والدعوية والتربوية، وأن يكون صوته الجميل وطريقة لحنه كافية لأن تملأ الفراغ، الذي يقوم معظم المنشدين و"المُغَنّين" بملئه من خلال الموسيقى.

4. القدرة المتميزة على انتقاء النصوص والأناشيد، التي تحمل معاني إيمانية وتربوية ودعوية راقية، ومن بين الشّعر القوي الرصين. واستفاد كثيراً من أشعار إبراهيم

عزت، كما استفاد من أشعار يوسف العظم ويوسف القرضاوي وغيرهما.

منشد الصحوة.. لا منشد المحنة والسجون:

ظَلَم بعض الكتّاب أبا مازن بوصفهم إياه منشد المحنة والسجون، لتركيزه كما يقولون على أناشيد الابتلاء والمحنة التي أصابت الإسلاميين، والتي كُتبت في خمسينيات وستينيات القرن العشرين. غير أن هذا التعميم غير صحيح ومبالغ فيه، إذ إنّ أناشيد الصحوة الإسلامية احتوت قدراً من هذه الأناشيد، ليس فقط بسبب ما تعرضت له الحركة الإسلامية من مطاردات وسجون وظلم ومحاولات تهميش وإلغاء، وإنما أيضاً لاعتبار تربوي دعوي مرتبط بسنن الله سبحانه في الدعوات من ابتلاء وتمحيص، والحض على الصبر

والثبات وحسن الثقة بالله، وهو معنى جوهري ومهم ركّز عليه القرآن الكريم كما ركّزت عليه السنة النبوية. وربما لم يلاحظ بعض من وصفوا أبا مازن هذا الوصف أن هناك شريطين فقط هما السادس والسابع ركّزا على الابتلاء والمحنة، من بين أشرطته التسعة.

وحتى عندما يعرض المحنة والمعتقلات والسجون في أناشيده، فإن الأناشيد كانت تحمل مضامين إيمانية تعبوية تربوية راقية لتحصين الداعية وتقوية عزيمته، ورفع معنوياته؛ ولا تجنح إلى معاني الإحباط واليأس. وتجد ذلك بقوة في أناشيده "ملحمة الدعوة"، و"أرملة الشهيد تهدهد طفلها"، و"قصة شهيد" وغيرها. ففي خاتمة ملحمة الدعوة تنطلق حنجرته الذهبية بصوت عميق مؤثر ليعلن:

عرفت قصة الطريق كلها الموت أول المطاف

لكن خضرة الطريق لا يصيبها الجفاف

قادم وقادم وقادم

إشراقة مضيئة تجيء في الختام...

عائد أنا من حيث أتيت عائد أنا إلى مسجدي

عائد إلى الصلاة والركوع والسجود

عائد إلى الطريق خلف أحمد الرسول

أطلق الخطى حثيثة في إثره

عرفت قصة الطريق كلها وعائد أنا برغمها

كالفجر كالصباح مغدقٌ وباسم

والخطو كالرياح عاصف وعارم

عبير الوعي

وبشكل عام، يمكن تصنيف أناشيد أبي مازن إلى خمسة خطوط، بما يجعله بلا شك منشد الصحوة الإسلامية والدعوة الإسلامية بكافة مجالاتها:

1. أناشيد تُعرِّف بالرؤية الإسلامية ومزاياها ومواصفاتها وتجربتها؛ منها مثلاً: الصين لنا، مسلمون، ملكنا هذه الدنيا قرونا، أحباب ديني، أنا عالمي، أنا مسلم، بعقيدتي، دعوة لله وحده، دستورنا القرآن... وغيرها.

2. أناشيد إيمانية وجدانية ترتقي بمشاعر المؤمن وعلاقته بربه ودينه، ومنها مثلاً: أحزان قلبي، يا إلهي، أسبح ربي، ببابك لله أغادره، قلبي مجيب، ربنا الله، آنست نور الله، ربنا إياك ندعو، وكان مصعب معطراً... وغيرها.

3. أناشيد جهادية تعبوية، ومنها مثلاً: هو الحق يحشد أجناده، حطموا ظلم الليالي، نحن جند الله، جدد العهد، حطين، الباطل مهزوم العسكر... وغيرها.

4. أناشيد متعلقة بالصبر والثبات على الابتلاء ومصاعب الطريق، ومنها مثلاً: ملحمة الدعوة، أرملة الشهيد، قصة شهيد، أخي أنت حر وراء السدود... وغيرها.

5. أناشيد للأطفال، وقد أخذ أبو مازن معظمها من أشعار يوسف العظم رحمه الله، وهي تحوي كافة المعاني الإيمانية والتربوية والجهادية، ومنها مثلاً: نحن زهر الياسمين، الريحان، زلزل يا سعد الإيوانا، في بدر، روض الأقصى، وجاءت التتار... وغيرها.

وسيلاحظ المستمع لأناشيده، أن الأشرطة الثلاثة الأولى والخامس والتاسع تركز على الدعوة الإسلامية ومزاياها والأناشيد الإيمانية الوجدانية والجهادية؛ في الوقت الذي يركز فيه الشريطان الرابع والثامن على أناشيد الأطفال، بينما يتخصص الشريطان السادس والسابع،

كما ذكرنا، بمواضيع الابتلاء والمحنة ومواجهة الظالمين وأدب السجون.

* * *

وفي الخلاصة، فإن أبا مازن كان داعية وظَّف إمكاناته الفنية في خدمة دينه ودعوته، ولم يكن فناناً يوظف الدعوة لظهوره وشهرته.

وبالتأكيد فقد كان إلى جانب أبي مازن عدد من القامات الكبيرة في النشيد، أمثال أبو الجود والترمذي وأبو دجانة وأبو راتب وأبو أحمد وأحمد عبد الجبار وفريد سرسك، وغيرهم ممن كانت لهم آثار طيبة على جيل الصحوة.

وعلى منواله، ظهرت أشرطة أناشيد في عدد من البلدان، وعايشنا صدور بعضها وكان منها سلسلة الأناشيد الكويتية، وسلسلة أناشيد الرابطة الإسلامية لطلبة

فلســـطين في الكويت، وأناشـــيد الحركة الإســـلامية في فلسطين 1948، وأناشيد اليرموك في الأردن وغيرها.

رحم الله المنشد الكبير أبا مازن، الذي كان مُلهماً للملايين من مستمعيه ومتابعيه من جيل الصحوة الإسلامية.

عبير الوعي
نصنع لك المنبر .. وعليك الصعود

أبا مازن.. كلنا ندين لك[4]

بقلم الداعية الدكتورعبد السلام البسيوني

قارئي الحبيب: هل ذقت معنى أن تساق إلى الجنة بالسلاسل؛ غصبًا عن سيادتك؟

أحمد الله تعالى أنني ذقت هذا المعنى، وجربته، وأحسست به بخلاياي كلها! ولن أقول كيف!

هل احترت من شيء من أقدار الله تعالى لم تفهم حكمته، ولم تدرك مراميه، ثم – بعد عشرين سنة مثلاً

(4) المصدر: موقع "مركز الشهود الحضاري"، 17/3/2023

– انكشــفت لك الحكمة؟ أحمد الله أنني جربت هذا غير مرة!

هل عاصرت رجلاً استطاع – بالريموت كنترول – أن يشــكل عـاطفتك وعـاطفة جيل كامل من لـداتك، ويثير أشجانك وأشجان أمة من الشباب والكهول، دون أن يعرفهم أو يعرفوه؟!

أنا جربت ذلك مع هذا الكائن الجميل الذي لم أســعد بلقائه حتى هذا الحين!

هل رأيت عمرَك رجلاً يبني هرمًا، أو ينجز خارقةً دون أن يعرف ذلك، ولا ينتبه له، وهو بين الناس يســعى، إلا بعد خمس عشرة أو عشرين أو ثلاثين سنة من غراسه؟

إنه هو جزاه الله أحســن الجزاء: قال كلماته ومضــى، ليعافس الحياة، ويعيش دنياه، ثم ليلتفت بعد عقود

ثلاثة فيجد الأيدي تشير إليه، والعيون تركز عليه، والقلوب تقول.. أهه.. هوّ ده.. هذا هو أبو مازن الذي ملأ قلوبنا أوجاعًا، وعشقًا وتوقًا، وحبًّا لله رب العالمين؟!

هل رأيت رجلاً لا يكتفي أن يحبُوَك من عطاء نفسه، بل يؤمِّن لك عطاءاتِ آخرين، ويتيح لك من خيرات غيره، لتعرف، وتنهل، وتضيف لرصيد نفسك ما أنت في حاجة له، دون أن يمن، أو ينتظر منك أن تقول: متشكرين، أو ثانك يو، أو جزاك الله خيرًا؟

لقد فعل هو ذلك.. وحسبه أنه أضاف إلى رصيدي شاعرًا ما كنت أعرفه شاعرًا، ونفَسًا دعويًّا أمةً وحده، هو الشيخ إبراهيم عزت عليه رحمات الله ورضوانه، كما بينت في مقالة ماضية!

هل جربت أن ترتبط عاطفيًّا بشخص انبهرتَ به، فطفقت تدعو له، وتترحم عليه، ولم تره، ولا تعرف عنه

شـيئًا؟ بل ما تظن أنك تعرفه عنه (يصـد النفس) ويغرس من لقياه اليأس؟!

!ياااه! حصل لي والله

هل غصـــت في المعاني، والنغم، والكلمات الجميلة – لأنك مسلم مسكون بالوجع والإحباط والرغبة في التغيير، والأمل الجارف في جنة الدنيا قبل جنات الآخرة – بحيث تبقى أسير الكلمة الحلوة، والانفعال الصادق، والعاطفة التي ســـالت على الورق نشـــيدًا، أو حداءً عذبًا، يثير في أحنائك مشاعر الصدق والقوة والنشوة؟!

لقد عشـــتُ ذلك – بفضـــل اللطيف الخبير – بأعصـــابي وأفكاري وهمي وهمتي!

هل تظن أن العلم الجاف الجاد وحده هو الذي يرســم الطريق، ويأخذ باليد؟!

ستكون – في زعمي – مخطئًا إن اعتقدت ذلك؛ فكثيرًا ما تغير نفسك كلمةٌ أو همسة أو نغمة، لتترك بصمتها على وجدانك سلوكًا طيبًا أو شريرًا!

وقد أسرتني نغماته وأداؤه – بصوته الطبيعي المجرد، دون تزويق ولا مونتاج – لأتاثر كثيرًا، وأنساق في طريق رسمه لي، من خلال الحداء والكلمة والنغم، كما رسمه العلم والكتب والدراسة المنهجية، والجلوس إلى أهل العلم والدعوة.

ألست أكون بهذا مدينًا له بدين أكبر من المال أو أي شيء ذي ثمن.. لأن ما اكتسبته منه أكبر من أن يقدر بثمن؟

لقد اكتسبت إضافات غالية إلى ديني ومنهجي ودعوتي، ومساحةً خضراء من عمري ندية – جادها الغيث إذا الغيث همَى – وهل يقدر ديني ومنهجي ودعوتي بثمن؟!

!جزاك الله ألف ألف خير عني وعن جيلي يا أبا مازن

جزاك الله ألف ألف خير عني وعن جيلي؛ فقد كنت وحدك في ساحة الحداء النظيف، تصنع أفكارنا – على التوازي – بجانب العظماء: ابن باز والمختار الشنقيطي والسيد سابق والشعراوي والقرضاوي والغزالي والألباني وإبراهيم عزت وغيرهم.. وهل أعلى من ذلك منزلة، وأفضل فضلاً؟

جزاك الله ألف ألف خير، حين كنت تعبر عن لواعجنا، وترجم آلامنا وآمالنا، وتعزي نفوسنا، وتسرِّي عنا همومنا، بقصائد عذبة، وأناشيد وفقت كثيرًا في اختيارها، وترجمتها إلى لغة عاطفية لا ترضى بأن تتخذ غير قلوبنا سكنًا، وغير أكبادنا لها مهادًا!

جزاك الله ألف ألف خير، حينما انتقيت لجيلنا كلمات نقية، خالية من شوائب الدروشة الحمقاء، وتفاهات

الشـــرك الأرعن، وغباوة الســـطحية البلهاء، وســـرابية الكلام الأجوف، لتجمع لنـا بين حلاوة العبـارة، وجزالـة الكلمـة، وطلاوة النغم، ونبـل المعنى، وشـــرف القصـــد، وتعلِّب لنا هذا بصـوتك الأعجوبة، ونغمك الشـجي الذي تربع في القلوب والضمائر؛ نهجًا رائدًا مستنيرًا سباقًا!

كم كنـت تعزيني منـذ أوائـل الثمـانينيـات، وإلى يومي هذا، والضغوط النفسية والعاطفية تنيخ بصدورها على كيـاني وكيـانـات لـداتي من أبنـاء جيلي الـذي بلغ نهـايـات طريقه، وأنت تحدثنا عن الرسـول القدوة، وعن الشـباب ذي العزمـات المبرمـة، وعن الليـل الـذي لن يعود، وعن العيد، والصغيرة نهاد، وعن سيدي مصعب، وعن ملحمة الدعوة، والأم التي ترضـــع وليدها الجراح مع اللبن، وعن ابتهالات المسلم في وسط حلقات التعذيب!

كم كنت تثبت قلبي وأنت تأتي بهمم أناس كبارٍ أضيفها إلى همتي الكليلة؛ لأمتاح من هديهم هديًا، ومن عزمهم عزمًا: درر كلمات القرضاوي وإقبال والسيد القطب وفوزي وعابدين وغزيل وأبي الوفا وحمام والأميري والرافعي والآخرين، ممن رادوا الطريق، ووضعوا الصوى، وثبتوا المصابيح والمشاعل؛ لنسير دون أن نصطدم بجدار، أو نسقط في حفرة، أو نعلق في فخ! جزاك الله ألف ألف خير عني وعن جيلي يا أبا مازن!

ترى هل أستطيع أن أرد بعض دينك يا رجل؟

أستبعد والله يا أنيس شبابي، وسمير كهولتي، وصديق شيبتي! أستبعد رغم تشرفي بتقديمك علنًا لأول مرة في برنامجي التلفزيوني تنوير.. ورغم نشري الحوارات الرضائية على الشبكة الإسلامية، ورغم المشاجرات والمناقرات والتهديدات للأخ الجميل أكرم رضا.. الذي

طنش تهديداتي، ولم يأخذها على محمل البتاع، ثم – لطيبة قلبه – سمح لي بإثارة بعض المشاكل، بقراءة مطبوعته الرائدة المتفردة، بحسها الصحفي الحواري الحلو، وسبقِها الذي يدعو للغيرة، وفتحِها لنوافذ من العبير، والذكرى، والألوان البهيجة، على عالمنا الكئيب، الذي تُكدر صفو سمائه الغربان، والسحاب الأسود، وينخر في بنيانه السوس والعفن..

أيها الجميل أبا مازن.. أيها المهندس رضوان عنان: سامحني على التقصير، وعن عجزي عن الشكر والعرفان، ولا أملك أغلى من دعوة صادقة، أن يجمعني الله تعالى بك على التوحيد والبركة في الدنيا، وفي الفردوس الأعلى مع محبيك إخوانًا على سرر متقابلين.. اللهم آمين يا رب العالمين.

أطال الله عمرك.. وختم لي ولك بالصالحات.. وجمعني بك في فردوسه الأعلى؛ من غير سابقة حساب ولا عقاب.. مع من حدوتَ لهم، ومن أحبوك، ومع أبي بكر وعمر وعثمان وعلي.. وسيدنا الحبيب المصطفى مسك الختام وطب القلوب.. اللهم آمين.. والحمد لله رب العالمين.

محبك المدين لك

عبد السلام البسيوني

عبير الوعي
نصنع لك المنبر .. وعليك الصعود

الموت أول المطاف .. لكن خضرة الطريق لا يضيرها الجفاف[5]

بقلم: أسامة أبو ارشيد

"الموت أوّل المطاف

لكنّ خضرة الطريق لا يصيبها الجفاف"

هذه من كلمات أنشودة "أبو مازن"، رضوان عنان، رحمه الله في "ملحمة الدعوة"، للشاعر إبراهيم عزت، رحمه الله تعالى.

عبير الوعي
نصنع لك المنبر .. وعليك الصعود

(5) المصدر: الصفحة الشخصية للكاتب على موقع فيسبوك.

كغيري من أبناء الجيل الذي تفتحت مداركه في النصف الثاني من عقد ثمانينات القرن الماضي في المساجد كان أبو مازن، المنشد السوري، صاحب بصمة أساسية فيها.

أظن أن أبا مازن أدرك في مرحلة متأخرة مدى تأثيره في جيلين أو ثلاثة من العرب والمسلمين غير العرب بعد أشرطته التي أنشدها أواخر الستينيات ومطلع السبعينيات، وكنت شاهدت برنامجاً وثائقياً على قناة الجزيرة عنه يؤكد هذا المعطى، أظن أنه أعد وبث قبل حوالي 15 عاماً، وكانت مفاجئة لي أنه لا زال حيّاً يرزق، وأنه يعيش في مصر، بهدوء لا يعرف عنه أحد، ولا يريد أن يعرف عنه أحد.

على أي حال، تأثير أبو مازن، "المجهول" لنا كشخص حينها، كان كبيراً رغم بساطة الإمكانيات وتواضعها في وقته، إذ كان يسجل أناشيده على مسجل كاسيت عادي

في منزله (يعني دون أجهزة ومؤثرات)، كما أوضح لاحقاً في برنامج الجزيرة. منبع تأثيره كان أمران اثنان: الأول، الصدق الذي كنا نستشعره في تماهيه مع الكلمات التي ينشدها. والثاني، في وقع الحياة النابضة الذي كنَّا نحس به يدب في كلمات القصائد.

أنا واحد من الفتيان اليافعين في منتصف الثمانينات الذين تأثروا بشدة بقصيدة "ملحمة الدعوة". قد يقول قائل، إن سنيَّ الطفولة والصبا فيها من الصفاء والبساطة ما يفسر ذلك. صحيح. لكن، عمليات صناعة الوعي في سنٍّ مبكرة يبقى لها بصمات من الصعب جداً أن تمحى من الذاكرة أو تمسح من الوعي. ذهبت طالباً إلى المغرب في عمر الثمانية عشر عاماً، انفتحت على جو ثقافي واجتماعي لم نعتد عليه في الأردن، حينئذ، توسعت مداركي، وأصبحت أكثر ميلاً للفلسفة والتفلسف، لكن

بقيت تلك البنية الصلبة في تكوين شخصيتي طفلاً، وكان أبو مازن جزءاً منها. سافرت إلى أمريكا، في سنيِّ الشباب الأولى، انفتحت على عوالم جديدة، أنهيت الماجستير والدكتوراة في العلوم السياسية، والحمد لله حققت إنجازات جيدة في حياتي المهنية والسياسية والأكاديمية، ومع ذلك بقيت مرحلة التأسيس الأولى ولبناتها الصلبة سبباً في تماسك خطي ومساري.

لا أزعم أني بقيت ذات الطفل من حيث الصفاء والأفكار والقناعات المطلقة، ولكني لم أفقد يوماً البوصلة والهمَّ والمهمة في حياتي. نعم، قد يكون من هو مثلي "تطور" من حيث المنطق والفهم والسلوك، أو هكذا نظن، ولكن بقيت فينا ذات الخصال والسجايا والأهداف الكبرى السامية التي زرعت فينا صغاراً.

منذ أن عرفت طريق اليوتيوب قبل سنين وأنا لا أزال من حين لآخر استمع إلى أبو مازن وغيره من جيل المنشدين الذين جاؤوا بعده. قد يكون في ذلك نوع من الحنين إلى الماضي، زمانياً، ولكنه أيضاً نوع من طلب الارتواء من أحد ينابيع الصفاء الأول. ودائماً ما وجدت في أنشودة "ملحمة الدعوة" رفيقاً وسريّاً لي، خصوصاً في أبياتها التي تقول:

"يا ترى وبعد...هل تعود للطريق؟ هل تعود؟"

فيجيء الجواب بصوت أبي مازن:

"عائد أنا من حيث أتيت

عائد أنا لمسجدي

عائد إلى الصلاة والركوع والسجود

عائد إلى الطريق خلف أحمد الرسول

عبر الوعي
لصانع لك المنبر .. وعليك الصعود

أطلق الخطى حزينة في إثره

عرفت قصة الطريق كلها...

وعائد أنا برغمها

كالفجر...كالصباح مغدق وباسم

والخطو كالرياح عاصف وعارم".

كم أثرت بي دائماً تلك الكلمات في ذات القصيدة:

"لا بديل للخلود

لا بديل للجنان

لا بديل...لا بديل غير ذلّة الرّغام

لا بديل غير خدعة السراب

لا بديل غير وهدة الظلام

عبير الوعي
نحو الأثير .. وعليك الصعود

لا بديل للإقدام...غير سحقة الأقدام".

رحل أبو مازن، رحمه الله وأحسن إليه عن دنيانا، ولكنه ترك بصمة كبيرة في أجيال كاملة. لا أحسب أن الفتى اليافع أبو مازن وصحبه من الشباب في منتصف الستينيات من القرن الماضي كانوا يعلمون أن جزءاً من التاريخ سيخلدهم ويخلد جهودهم المتواضعة، ولكن عظيمة الأثر. هي بركة الله. وهو تأثير الصدق. وهو الإبداع في زمانه ومكانه. وهي كذلك الثبات في المحن والصدق عند اللقا، خصوصاً وأن الرجل حرم من بلاده سوريا منذ مطلع الثمانينات.

رحمك الله أبا مازن، ولا نرثيك إلا بآخر كلمات جاءت في قصيدة "ملحمة الدعوة" التي أنشدتها بلبلاً دواحاً:

"عرفت قصة الطريق كلّها...

الموت أوّل المطاف

لكنّ خضرة الطريق لا يصيبها الجفاف

قادم...وقادم..وقادم

إشراقة مضيئة تجيء في الختام

تقدموا...تقدموا...تقدموا

فبعد لحظة من المسير

ينتهي الزحام".

ها قد تقدمت أبا مازن، الموت أول المطاف وقد اخضرت طريقك بإذن الله... ها قد انتهى الزحام، بعد أن سِرْتَ على ما نحسبه هدى وصلاحاً.

عبير الوعي
نصنع لك المنبر .. وعليك الصعود

في وداع أبو مازن .. رائد النشيد الحركي[6]

بقلم الداعية عصام تليمة

توفي أمس الأربعاء 15 من آذار (مارس) الجاري، المنشد السوري المعروف (أبو مازن)، والذي كان في فترة السبعينيات والثمانينيات صاحب شهرة واسعة، بين أطياف أبناء الصحوة والحركة الإسلامية، على مستوى امتدادها الجغرافي بين جل بلدان العرب، رغم أن الأشرطة التي قام بتسجيلها كانت قليلة ومحدودة،

(6) المصدر: موقع "عربي 21"، 17/3/2023

وبصوت ضعيف جدا، ولكنه كان يمثل بدايات السماع لفن الإنشاد الحركي لمعظم هذا الجيل، وما تلاه من أجيال لفترة معينة، قبل أن تظهر أشرطة الإنشاد التي تستعين بالتقنيات الحديثة، ثم استعملت الآلات الموسيقية.

الإنشاد الديني بوجه عام، فن معروف في أوساط المتدينين، لكن التدين الشعبي يميل إلى الإنشاد الديني المتمثل في الابتهالات والتواشيح الدينية، وهو مشهور في سوريا ومصر بكثرة، فكان في سوريا عدة منشدين معروفين، منهم: حسن حفار، ومن جيل الوسط: عماد رامي، وغيرهم من المنشدين، وفي مصر كان هناك جيل قديم بدأ من الشيخ طه الفشني، ونصر الدين طوبار، والنقشبندي، وغيرهم، ذلك هو الإنشاد الديني الشعبي، وهو يعنى غالبا بالمدائح النبوية، والابتهال إلى الله بدعائه، وذكر صفاته وأسمائه الحسنى.

ومع نشأة جماعة الإخوان المسلمين في مصر سنة 1928م، بدأ نوع جديد من الإنشاد، هو ما يمكن أن نطلق عليه الإنشاد الحركي، وهو إنشاد معني بإشعال الحماسة، والنضال والجهاد، وما إلى هذه المعاني، وقد بدأه الإخوان بنشيد مثل شعارا لهم، وقد كتبه أحد علماء الأزهر، وهو الشيخ أحمد حسن الباقوري، وفيه: يا رسول الله هل يرضيك أنا، إخوة لله في الإسلام قمنا. ولما خرج الإخوان من مصر إلى الخليج، سعى الإخوان المقيمون في الخليج إلى تغيير مطلع النشيد، فجعلوه: يا إله الكون هل يرضيك أنا. بدلا من: يا رسول الله، حيث خافوا من اتهام السلفيين في الخليج لهم بالاستغاثة برسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم توالت أناشيد الإخوان الحركية، فكتب شاعر الإخوان عبد الحكيم عابدين، نشيده المشهور: نشيد الكتائب،

والذي بدأه بقوله: هو الحق يحشد أجناده، ويعتد للموقف الفاصل، وأصبح النشيد الإسلامي الحركي، أحد سمات أنشطة الإخوان المسلمين.

لأن أبو مازن رحمه الله، لم يكن يعرف الناس شكله، ولا ملامحه، ولا إسمه، فأحاطت بشخصيته شائعات مناسبة لأناشيده الحماسية، فأشيع أن النظام السوري لبغضه له، ولحنقه على أناشيده، قاموا بقطع لسانه، وكلها كانت شائعات لا أساس لها، لأن أبا مازن كان قد خرج من سوريا، واستقر في مصر،

في هذه الأجواء أيضا نشأ النشيد الحركي في سوريا، لكنه جاء متأخرا إلى نهاية الستينيات وبداية السبعينيات، وهنا برز شاب يحمل كنية: أبو مازن، رغم أنه غير متزوج، لكنها عادة اتخذت من باب العرف السائد آنذاك، والحرص الأمني، وهو ما كان من منشدين آخرين، مثل: أبو راتب،

وأبو الجود، وأبو دجانة، وهي كنى لشخصيات، وكان أشهرهم في بدايات النشيد الحركي: أبو مازن، واسمه: رضوان خليل عنان.

ورغم بداءة الأدوات، وبساطتها لدى أبو مازن، إلا أنه ظل محفورا في آذان شباب الحركة الإسلامية، فكان التسجيل بأدوات بسيطة، وبدون أي مؤثرات صوت، أو محسنات، ولكنها أناشيد تعنى ببث روح الحماسة، والصبر والثبات، وتدخل معظمها تحت باب: الملاحم، فكان من أوائل من أنشدوا قصيدة سيد قطب، أخي أنت حر وراء السدود.

نوع أبو مازن في مختاراته الشعرية، فأنشد لكثيرين، دون معرفة من أصحاب هذه القصائد، فأنشد لسيد قطب، وأنشد لشاعر مصري شاب، توفي شابا في الفرقة الثالثة

من كلية دار العلوم، وهو هاشم الرفاعي، فأنشد له: أرملة الشهيد تهدهد طفلها، وأنشد لمحمد إقبال: ملكنا هذه الدنيا القرونا، وأنشد لآخرين غير مشهورين من شعراء الدعوة.

كان صوت أبو مازن في التسجيلات خافتا، لا يكاد يبين في عبارات معينة، لرداءة الصوت، إلى أن قام الأستاذ أحمد الجدع، والمرحوم الأستاذ حسني أدهم جرار، بجمع معظم هذه القصائد وغيرها، في سلسلة كتب بعنوان: أناشيد الدعوة الإسلامية، فبدأ الناس يعرفون الكلمات المتقطعة التي لم تكن آذانهم تلتقطها بدقة.

ولأن أبو مازن رحمه الله، لم يكن يعرف الناس شكله، ولا ملامحه، ولا إسمه، فأحاطت بشخصيته شائعات مناسبة لأناشيده الحماسية، فأشيع أن النظام السوري

لبغضه له، ولحنقه على أناشيده، قاموا بقطع لسانه، وكلها كانت شائعات لا أساس لها، لأن أبا مازن كان قد خرج من سوريا، واستقر في مصر، وحاول كثيرون من أهل الإعلام الوصول إليه، ومحاولة إقناعه بالظهور الإعلامي، لكن الرجل رفض، فقد عاش آخر سنين حياته منذ ذهب لمصر، يعنى بأسرته، وحياته الخاصة.

ومات في البلد الذي عاش فيه آخر عقود حياته، في مصر، وقد فوجئ الكثيرون بذلك، لكنها كانت معلومة لدى بعض المهتمين بالنشيد الإسلامي، وبالسؤال عن أبو مازن، رغم انقطاعه عن النشيد، إلا أنه ظل ذكره دائما بين أجيال السبعينيات وما تلاها من أجيال، فقد ارتبطوا بصوته، وارتبطوا بفنه، وارتبطوا بأدائه، وانتقائه الرائع للأناشيد، ورغم استمرار إخوانه المنشدين الكبار كأبي راتب وأبي الجود، وغيرهم، وانقطاع أبو مازن، إلا أن ما قدمه ظل

أثره باقيا، وهو دلالة على نية الرجل الصالحة، وعلى حسن عمله، نحسبه كذلك والله حسيبه، رحمه الله رحمة واسعة وتقبله في الصالحين.

عبير الوعي
نصنع لك المنبر .. وعليك الصعود

المنشد أبو مازن كما عرفته[7]

بقلم : خالد عبد الله

كان الفتى طفلا صغيرا لم يبلغ العاشرة بعد، يسمع صوت هذا المغرد يملأ جنبات بيت أسرته، بعض إخوته الكبار يحفظون كل كلمة في الأناشيد بلحنها من غير خطأ، تعلق بالحالة والجمال معا مع معايشة للواقع زادت ما يسمعه وضوحا وعمقا وتأثيرا.

أحب الفتى ذلك الصوت وصاحبه، ثم أصبح يردد تلك الأناشيد بصوته بين الناس، وفي داخله "أنى له أن يبلغ

(7) المصدر: موقع "مدونة الجزيرة"، 16/3/2023

مبلغ صاحبها"، فصاحبها لا ينفصل عنها حقيقة ومعايشة وصدقا، فضلا عن طبقات صوته وإتقان فنه، حفظ الفتى كل ما سمع، فجمع من المعاني والقيم والمشاعر والصور والطموح والآمال ما لا يستطيع أن يحصره في كلمات.

وبعد عشرين سنة يعلم الفتى -وقد صار رجلا وأبا- أن مثله الأعلى في النشيد ورفيق الروح الذي لم يره من قبل يعلم أنه حي يرزق على خلاف ما كان يظنه كثيرون، والأعجب من هذا أنه يعيش في البلد ذاته منذ سنوات طويلة ولا يعرف ذلك أحد، إنه في مصر، أبو مازن في مصر.

بدأنا في استئناف العمل الفني من جديد، فاختار أن تكون معظم كلماته من ديوان الشيخ إبراهيم عزت رحمه الله، وكانت لحظات عجيبة كأن مفاجآتها لا تنتهي

كان ذلك في العام 2001، اتصلت به ورحب بلقائي، وبدأت زيارات عديدة، وجلسات ماتعة أتعرف من خلالها على تلك الشخصية الفريدة، كنت أتلمس المعاني من صورة ذهنية رسمتها في خيالي عنه، فإذا هو مثالها وحقيقتها، الخلق الأصيل الراقي، العمل الدؤوب، القدوة العملية، الشخصية الهادئة الواثقة مع تواضع تذوب حياء معه.

بدأنا في استئناف العمل الفني من جديد، فاختار أن تكون معظم كلماته من ديوان الشيخ إبراهيم عزت رحمه الله، وكانت لحظات عجيبة كأن مفاجآتها لا تنتهي، فهذا الديوان حوى أجمل ما أنشد أبو مازن: ملحمة الدعوة، اليوم عيد، مصعب بن عمير، حبيبتي بلادي، وغيرها.

توافقنا على عدة قصائد وبدأ في تجهيزها، وبالتعاون مع أخي وصديقي سميح زريقات في الأردن أخذنا خطوة بالسفر إلى عمّان، وكان من جميل فضل الله علي أن

عشت أياما في غرفة واحدة مع أستاذي أبي مازن، اقتربت من ذلك الكبير أكثر، شهدت أخلاقه ورقي معاملاته، صدق مشاعره نحو دينه ودعوته وأمته، حكى لي عن شيخه وأستاذه في سوريا، الأستاذ جودت سعيد رحمه الله، فما وجدت الرجل إلا نموذجا مثل أستاذه.

رأيته مع العمال في مصنعه كأنه واحد منهم، رأيته إماما في مسجده يحبه كل من حوله، قدوة عملية، منشرح الصدر، باسم الوجه

لم أشعر لحظة منذ عرفته أني أتعامل مع فنان يسعى إلى شيء مما يرغب فيه كثيرون، بل مع داعية وظف كل طاقته لخدمة دينه وما يؤمن به، لأثر يبقى في قلوب الناس، وتغيير يلامس القلوب والأرواح، ويحرك الهمم والطاقات، رأيته مع العمال في مصنعه كأنه واحد منهم، رأيته إماما في مسجده يحبه كل من حوله، قدوة عملية،

منشرح الصدر، باسم الوجه، يؤثر الجد من غير عبوس ولا تشدد، محب لأهله، شديد البر بأمه، ويبقى أثره في الفن والنشيد -لغايات التربية والدعوة- عميقا في نفوس محبيه من شرق العالم الإسلامي إلى غربه، رحم الله أبا مازن رضوان خليل عنان، وجمعنا في مستقر رحمته، وعوّض الأمة عن فقده.

وغدا يجيب لنا المجيب دعاءنا ودموعَنا وصلاتَنا ورجاءَنا

وغدا نرى من يمكرون بديننا يستنجدون من اللهيب بغيثنا

وغدا سنضحك ملء كل قلوبنا في دار خلد زُيّنت بحبيبنا.

المنشد أبو مازن المربي بالجمال[8]

بقلم : إبراهيم الدويري

من هدي نبينا صلى الله عليه وسلم تقديره العظيم لأصحاب المواهب النافعة وتشريفه لهم بالحضور وزف البشارة إليهم؛ فأي تقدير أعظم لمن رزق موهبة حسن الصوت من إصغاء سيد البشر صلى الله عليه وسلم إليه وتنويهه بموهبته؛ فقد كان أبو موسى الأشعري رضي الله عنه "حسن الصوت بالقرآن"، فوقف النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة يستمع إلى قراءته وأنبأه بذلك التشريف العظيم كما في رواية مسلم أنه قال له "لو رأيتني وأنا

(8) المصدر: موقع "مدونة الجزيرة"، 17/3/2023

أستمع لقراءتك البارحة"، وبشره بقوله الشريف "لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود". وكاد رد أبي موسى الأشعري ردا فطريا جمع بين حب إسعاد النبي صلى الله عليه وسلم وعميق الامتنان له فقال "لو علمت لحبرت لك تحبيرا ولشوقت لك تشويقا"، كما في ابن أبي شيبة.

وكما وقف النبي صلى الله عليه وسلم لتلاوة أبي مسلم الأشعري، وقفت أمهات المؤمنين رضي الله عنهن مستمعات متشوقات لمزاميره الداودية التي كانت تتردد نسماتها المشرقة بين أرجاء المدينة النبوية في لياليها المطمئنة والمفعمة بالإيمان والحي والسكينة؛ ف"لابن سعد من حديث أنس بإسناد على شرط مسلم أن أبا موسى قام ليلة يصلي فسمع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم صوته وكان حلو الصوت فقمن يستمعن فلما أصبح قيل له فقال لو علمت لحبرته لهن تحبيرا"، كما في فتح الباري ج9، ص 93، وعلى هدي النبي صلى الله في تقدير الموهوبين

سار الفاروق، فقد "كان عمر يقدم الشاب حسن الصوت لحسن صوته بين يدي القوم."

فهذا الهدي النبوي والاتباع الراشدي في تقدير المواهب النافعة والاحتفاء بأصحاب الأصوات الحسنة ندرك محورية الأصوات الجميلة في أصول التكوين الجمالي والصحي لأصحاب الفطر السليمة، وهي محورية أدركها أطباؤنا الأقدمون فذكروا "أن الصوت الحسن يسري في الجسم، ويجري في العروق، فيصفو له الدم، ويرتاح له القلب، وتنمو له النفس، وتهتز الجوارح، وتخف الحركات؛ ومن ذلك كرهوا للطفل أن ينوم على أثر البكاء حتى يرقص ويطرب"، كما في "العقد الفريد" 7/4.

كان الاهتمام بالأصوات الحسنة قديما، وبالغ أهل الغناء في تاريخنا في تقديرها وتأثيرها حتى قال بعضهم "ربما غنيت هذا الصوت وأنا جائع فأشبع، وربما غنيته وأنا

كسلان فأنشط، وربما غنيته وأنا عطشان فأروى". وكتب أبو الفرج الأصفهاني "أغانيه" الخالدة، وجاء الصوفية وعقدوا مجالس الإنشاد، فكان "مما يتمتع به الفقراء سماع الصوت الحسن" كما يروي الشعراني عن المحاسبي، ثم خرجت الحركات الإسلامية المعاصرة ببديل إنشادي يتكئ على "باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء" في صحيح الإمام البخاري، فراعى ضعف القوارير ومقتضيات التنبيه النبوي للحادي أنجشة، وعزف على أوتار قضايا الأمة فأثار مكامن الشجاعة ودواعي البذل لدى عموم الأمة.

وفي خضم انشتار البديل الإسلامي الملتزم باتزان برز المنشد الإسلامي الكبير السوري رضوان خليل عنان المعروف بـ"أبو مازن" الذي ولد عام 1952 في دمشق الفيحاء، وتلقى تعليمه فيها ليبدأ رحلة الإنشاد في مرحلته الثانوية، ثم نال حظه من محنة السوريين على يد حافظ

الأسد فهاجر إلى القاهرة وأسس بها مصنعا وأصدر أناشيده التي سارت بها الركبان وتميزت بانتقاء كلماتها ومواضيعها، وعرفت جماهير الصحوة بكبار الشعراء الإسلاميين مثل محمد إقبال، وسيد قطب، وهاشم الرفاعي، ويوسف العظم، ومصطفي حمام، وغيرهم.

كانت كلمات سيد قطب "أخي أنت حر وراء السدود" أول نشيد عبر إلى العالم عبر حنجرة المنشد "أبو مازن" حاملا معه طموح الصحوة وصمود أبنائها في وجه المحن الطاحنة، ثم أنشد لمحمد إقبال "الصين لنا والعرب لنا" و"الليل ولى لن يعود" و"حطموا ظلم الليالي" و"فتية الحق أنيبو"، ولهاشم الرفاعي قصائد "شباب الإسلام" "وأنا مسلم" و"أنا عالمي" و"أرملة الشهيد تهدهد طفلها"، وهي أناشيد تعبر عن مرحلة "أستاذية العالم" والتعالي على حدود "سايكس بيكو"، كما أنشد لإمام العصر الشيخ

يوسف القرضاوي قصيدة "مسلمون مسلمون مسلمون."

وأنشد لعبد الحكيم عابدين "جدد العهد" و"نشيد الكتائب" الشهير بمطلعه "هو الحق يحشد أجناده"، وفي "حماك ربنا"، ولمروان حديد "أحباب ديني أحبة الإسلام"، و"أحزان قلبي لا تزول"، ومع شاعر الصحوة يوسف العظم أناشيده الحماسية عن معارك "القادسية" و"حطين" و"عين جالوت"، وعن "أمي وحضنها الأمان" و"أبي الذي دعاني إليه" وعن "مكة وصوتها" و"الأقصى" و"رمضان" "والهجرة."

سجل المنشد أبو مازن 10 أشرطة جمعت في كتاب وترددت في أصداء الدنيا تكافح القبح والإباحية والظلم والطغيان، وتدعو إلى الفضيلة وقيم الإسلام السمحة، وعلى صوته تربت أجيال من الصحوة تمتد من داكار غربا

إلى جاكرتا وتركستان الشرقية شرقا، ووحد أبو مازن وجدانها وربطها بهموم المسلمين وقضايا الأمة، وحمل هم النشيد الإسلامي بعد "أبو مازن" أقوام آخرون لكن أناشيده ظلت حاضرة بقوة لدى الأجيال التي عرفتها منذ الثمانينيات، وهي الأجيال التي تلقت أمس 23 شعبان 1444هـ نبأ رحيله في القاهرة بأسى وحسرة وذكريات بدأت لدى أغلبهم من المسجد حيث بدأ هو نشيده الأول، ألحقه الله بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

عبير الوعي
نصنع لك المنبر .. وعليك الصعود

"أبو مازن" لاهوت التحرير الإسلامي[9]

بقلم : محمد أبو رمان

ودّعت "أجيال الصحوة" الإسلامية، قبل أيام (15/ 3/ 2023)، رضوان خليل عنان، الملقب "أبو مازن"، وهو أحد أشهر المنشدين "الحركيين". وكان ملاحظاً حجم التفاعل الشديد على وسائل التواصل الاجتماعي مع خبر وفاته، والحنين والعواطف المتدفقة من عشرات الآلاف من المتأثرين به وبأناشيده، من أجيال مختلفة من الصحوة

(9) المصدر: موقع "العربي الجديد"، 19/3/2023

الإسلامية، على الرغم من أنّه كان قد انقطع عن النشيد منذ نحو 40 عاماً!

برز اسم أبي مازن في السبعينيات والثمانينيات، عندما كانت المواجهات على أشدّها بين الحركة الإسلامية في سورية ونظام البعث، وكان ضمن مجموعة من المنشدين الذين شكّلوا مرحلة جديدة في النشيد الإسلامي، نقلوه من الجانب الروحاني إلى الدعوي والحركي والنضالي، أبو مازن وأبو راتب وأبو الجود وأبو دجانة، مع الشيخ الترميذي (اكتفى بالنشيد الروحاني والدعوي)، ومن بقي منهم معروفاً خلال الفترة التي تلت أحداث مذبحة حماة (فبراير/ شباط 1982) هو أبو راتب، الذي هرب إلى الأردن (قبل أن يستقرّ في المهجر لاحقاً)، بينما ذهب أبو دجانة إلى الخليج، وما نعرفه عن أبي الجود (مهندس) أنه بقي في

سورية، فيما اختفى أبو مازن تماماً، من دون أي خبرٍ أو قصاصة معلومة عنه.

مثّل أبو مازن لغزاً حقيقياً على مدار عقود طويلة؛ والسبب أمران: الأول، اختفاؤه الكامل، مع عدم معرفة من هو؟ وما هي قصته؟ وراجت فكرة أنّه قُتل في السجون السورية، لذلك بقيت أشرطة الكاسيت هي التي تمثل شخصيته في أفكار الإسلاميين وأجيالهم المتتالية وذاكرتهم، ما أسبغ على هويته هالة كبيرة وتفخيماً لدى هذه الأجيال. الثاني (الذي جعل منه لغزاً) تلك الملحمية المدهشة والثورية الإسلامية المتوقّدة في أناشيده واختياراته قصائد لشهداء وإسلاميين، مثل الداعية إبراهيم رفعت، وهاشم الرفاعي وسيد قطب وغيرهم، والألحان الدرامية التي قدّم فيها تلك القصائد، ما جعل من أشرطته عقوداً ممتدّة (حتى بعد نهاية أحداث سورية)

بمثابة لاهوت للتحرير الإسلامي، ومعلماً من معالم الإسلام النضالي، أو بتوصيف حامد ربيع "كفاحية الدعوة."

انتهى لغز أبي مازن بعد عقود من اختفائه، عندما اكتشف أردنيون أنّ الرجل على قيد الحياة، وأنه رجل أعمال (يمتلك مصنع نسيج) سوري، مهاجر في مصر، منذ عام 1987، ثم حضر إلى عمّان في عام 2002، وأقيم له احتفال حضرته نخبة من الإسلاميين، ثم أبدع المخرج الأردني الشاب، بشار غنّام، في الفيلم الوثائقي، الذي قدّمه لقناة الجزيرة عن أبي مازن، وفيه مقابلة مطولة معه، يحكي قصته، مع باقة من أناشيده الحماسية السابقة.

لم تكن دهشة "اكتشاف" الشخصية الحقيقية رضوان عنان (أبو مازن) أقلّ من لغز اختفاء الرجل، ومصدر

الدهشة أنّ أغلب أشرطته سجّلها وهو طالب في الثانوية العامة، في غرفة صغيرة في منزله في حيّ المهاجرين في دمشق (تخيّلوا!)، وأنّه بعدما اعتقل فترة قصيرة، قرّر الاعتزال (بعد أن شعر بالإحباط من الأحداث)، ظناً منه أنّ ما قدّمه لم يؤثر كثيراً، ليختفي إرادياً (بعد أن أنهى دراسته الجامعية في سورية)، وغالباً عمل مدرّساً فترة، ثم يذوب في مصر، فلا يعرف أحد عن أمره شيئاً، وليفاجأ الرجل بعد ثلاثين عاماً (عند اكتشاف شخصيته الحقيقية) أنّ تلك الأناشيد شكّلت "الهوية الروحية" و"العاطفية" لأجيال متتالية من الصحويين، بما قد يصل إلى ملايين البشر!

ثمّة خيط مهم في قصته (ذكرها هو في "الوثائقي") أنّه من إنتاج "مجتمع المشايخ" في دمشق، فقد كان تأثّره شديداً بداعية اللاعنف جودت سعيد، وبالشيخ الداعية الفقيه

أمين المصري، وكان يتردّد على مسجده في دمشق ناصر الألباني ومصطفى السباعي. ولعلّ إشارته هذه تمثل الميزة أو السمة الخاصة للظاهرة الإسلامية في دمشق، التي أشار إليها الباحث البلجيكي توماس بيريه في كتابه "الدين والدولة في سورية: علماء السنة من الانقلاب إلى الثورة"، إذ كان، وما يزال، دور فاعل وكبير للمشايخ والمساجد والجمعيات الدينية والطرق والزوايا الصوفية في بناء شبكة دعوية وتربوية وتعليمية وروحية.

عبير الوعي
نصنع لك المنبر .. وعليك الصعود

وداعاً مهندس الأنشودة الإسلامية[10]

بقلم : أبو بكر الوادي

لا يُذكر النشيد الإسلامي إلا وذكر معه المنشد السوري الكبير أبو مازن. فهو مهندسه البارع ورائده المبدع الذي خرج به من ضيق الأطر التقليدية المنغلقة على الابتهالات الدينية والمدائح النبوية إلى فضاء الهم الإسلامي الواسع فسعى في تحديث مضامينه وتنويع موضوعاته مواكبة لما يعتمل في الواقع الإسلامي من أحداث كبرى وتغنيا بمآثر الإسلام ورصدا لمسيرة دعاته وحكاية عن المحن التي تعصف بهم هنا وهناك، وتصويرا للأهوال والمحن التي

(10) المصدر: موقع "الصحوة نت"، 15/3/2023

يكابدونها في أقبية السجون والمعتقلات بغية إسكات أصواتهم وإخماد مشاعل النور التي حملوها في ليل الإمتهان والذل.

ولد رضوان خليل عنان المعروف بـ(أبي مازن)عام 1952 في حي المهاجرين وسط مدينة دمشق، وفيها التحق بمدارس التعليم العام. كما درس على عدد من العلماء والمفكرين منهم الشيخ الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله. ثم التحق بكلية الهندسة وتخرج فيها في أواسط سبعينيات القرن الفائت.

بدأ أبو مازن تجربته الإنشادية أواخر الستينات. بشريط متكامل يشتمل على خمس أناشيد سجلها بجهد ذاتي وبأدوات متواضعة. ولم يكن يتوقع أن تحدث ذلك الأثر. ولا أن تنتشر بسرعة كبيرة تجاوزت القطر السوري إلى عدد من الدول العربية، فوضعه هذا الإنجاز أمام مسئولية كبيرة في مواصلة المشوار. فكانت أشرطته

التسعة التي أنجزها خلال أعوام ثلاثة. نوع فيها بين الدعوي والتاريخي والاجتماعي. وأولى واقع الدعوة والدعاة اهتماما خاصا. فكانت (ملحمة الدعوة) و(قصة شهيد) و(حبيبتي بلادي). و(اليوم عيد). وتلقى عشاق هذا الفن والمهتمون به هذه الأشرطة بترحاب واسع. جعل من أبي مازن ألمع اسم في الفن الإسلامي يومئذ، وفتح الباب أمام تجارب أخرى لخوض هذه التجربة عبر منشدين منفردين كأبي راتب، أو فرقا إنشادية كروابي القدس والرابطة الفلسطينية وغيرهما.

لقي أبو مازن مضايقات جمة جعلته يتوقف عن الإنشاد في ذروة عطائه، ولما وصلت هذه المضايقات حدا لا يُحتمل؛ لم يكن أمامه غير السفر خارجا فاستقر في مصر وأسس هناك مشروعا صغيرا ظل يعتاش منه.

أنجز أبو مازن خلال إقامته في مصر والتي امتدت لأربعة عقود شريطا إنشاديا واحدا عنوانه (لا تحزني) لانشغاله

أولا. ولأن الساحة الإنشادية أصبحت تعج بعشرات الأصوات فوجد فيها ما يكفي لإبقاء هذا الفن الرسالي حيا وحاضرا في حياة الناس.

وصوت أبي مازن صوت هادئ جميل يقتحم القلوب دون استئذان. عززه بألحان رائعة تستبطن المعنى. وترسم باقتدار بارع الجو العام للنص. وقد كان حريصا على انتقاء النصوص الإنشادية بعناية فائقة. ومن شعرائه الشيخ يوسف القرضاوي والإستاذ سيد قطب والأستاذ يوسف العظم والداعية جمال فوزي والشاعر هاشم الرفاعي.

رحم الله أبا مازن. وتغمده بواسع مغفرته. وجعل أثره الطيب حيا في الناس مرضيا عند الله.

نصنع لك المنبر .. وعليك الصعود

عاش غريباً، ومات غريباً .. كيف تفاجأ جيران رائد النشيد الحركي بحقيقة إمام مسجدهم في بالقاهرة؟[11]

القاهرة -تلفت المصلون يتفقدون المهندس رضوان خليل ليؤمهم في صلاة المغرب، ومن يصلي بهم غير صاحب الصوت الندي، الذي يعرفه جل أبناء الحركة الإسلامية في كل أنحاء العالم الإسلامي من خلال أناشيده باسم "أبو مازن"؟

افتقده المصلون، بعد أن أَمَّهم غيره، ثم خرجوا فوجدوا سيارته واقفة أمام مشغله البسيط المختص بالنسيج

(11) المصدر: موقع "الجزيرة "، 18/3/2023

والملابس، ويبدو أن الشيخ رضوان في مكتبه، إذن فليصعدوا إليه ليسألوه عن سر غيابه النادر عن صلاة الجماعة، وقد كان في أيامه الأخيرة باديا عليه الإرهاق والتعب.

باب مكتب الشيخ موصد في الوجوه على غير العادة، أنصتوا منتظرين رده على الطرق على الباب، لكن لا جواب، هاتفوه؛ يرن جرس الهاتف منبعثا من الداخل، الشيخ إما نائم في الداخل، أو ترك هاتفه وخرج متعجلا.

أحدهم ساوره الشك والقلق، تحايل لدخول المكتب من نافذته المشرعة، ثوان مرت على الدخول، حتى سمع رفاقه شهقة الداخل وحوقلته، قبل أن يفتح لهم الباب ليدخلهم للمكتب.

مرأى الشيخ السبعيني وقد أُلقي على كرسيه جسدا بدون حراك، جعل الجميع يشهقون محوقلين، قبل أن يهرعوا

إليه ليتعاونوا على حمله إلى سيارة أحدهم منطلقين به بسرعة إلى مستشفى قريب، فجعهم فيه النبأ الأليم: البقاء لله، مات الشيخ.

صدى أناشيد النهاية

ترددت كلمات النشيد -الذي كان الشيخ يصدح به قبل عقود. في رأس عبد الرحمن بكر، وهو يوزع المهام على صحبة المسجد والمشغل بين كيفية إبلاغ أهله وبناته الخمس، وقد زوجهن كلهن بمصر.

بكى عبد الرحمن بكر وهو يتذكر أمام الجسد المسجى "يا شهيد.. يا شهيد.. يا شهيدا رفع الله به.. جبهة الحق على طول المدى.. يا شهيد."

هذه الأنشودة التي كان يسمعها عبد الرحمن عبر شريط كاسيت ضعيف الصوت رديء التسجيل، في شبابه، ثم

ينخرط في بكاء مرير، وقد علم وقتها أن نظام الرئيس السوري حافظ الأسد، قد قطع لسان أبي مازن، وتركه ينزف ويموت، ليصير صاحب أنشودة "يا شهيد"، شهيدا، وتجسيدا للنشيد الذي كان يلحنه وينشده، هكذا اعتقد عبد الرحمن.

اليوم يكتشف -وجسد أبي مازن مسجى أمامه- أن الحكاية التي راجت بين أبناء الحركة الإسلامية -جمهور أبي مازن الأصيل والواسع- لم تكن حقيقية، ربما أشاعها أصدقاء أبي مازن لكي تكف أجهزة الأمن السورية عن ملاحقة رائد الإنشاد الحركي، وقد استقر به المقام في القاهرة بدون إعلان، هكذا يفسر عبد الرحمن الأمر في حديثه للجزيرة نت.

نصنع لك المنبر .. وعليك الصعود

جمهور المصلين

جمهور المصلين المنتظرين الشيخ في صلاة العشاء في مسجد عباد الرحمن، تلفتوا باحثين عنه "أين الحاج رضوان؛ إمام المسجد؟"، وأُضيف إلى السؤال سؤال آخر "أين رفاقه من المصلين خلفه بانتظام؟" فقد كان المسجد -على صغر مساحته- يتسع لعشرات المصلين الذين يتقاطرون من أنحاء منطقة منشية السد العالي، شرق القاهرة، حيث يقع المسجد في شارع مسجد الوطنية متفرعا عن شارع جسر السويس الشهير.

تساءل المصلون، الذين لا يعرف معظمهم أنه المنشدُ أبو مازن الذي كان ملء الأسماع في ثمانينيات القرن الماضي.

دهشة بالغة كانت تعتري وجه أحد جيرانه، أثناء العزاء البسيط المقام قرب مسجده، وقد قال للجزيرة نت وهو لا يزال غارقا في دهشته "رغم أنني جاره منذ وطأت قدماه

المنطقة قبل نحو 30 عاما، فإنني فوجئت بصور الشيخ على مواقع التواصل مصحوبة برثاء أليم من العديدين وبعضهم مشاهير من الشيوخ والمؤثرين على مواقع التواصل، لأعرف منهم أنه كان منشدا شهيرا قبل عقود."

تابع المتحدث، مفضلا عدم ذكر اسمه "لم يشر الراحل لذلك أبدا طوال معرفتي به، رغم القرب والتقارب، كما لم يحاول أن يؤدي أناشيد أمامنا ولو على سبيل الدندنة، كما يفعل بعضنا ببعض الأغاني والأناشيد."

يكسو القلق وجوه المعزين في سرادق العزاء الذي كان عبارة عن مقاعد قليلة وبسيطة بالشارع إلى جوار مصنعه، وبعد أن تبين لمعظمهم قيمة الراحل وأثره في الحركة الإسلامية المطاردة اليوم في البلدان؛ يرفض أصهاره تصوير جلسة العزاء البسيطة، تعبيرا ضمنيا عن القلق وتفضيلا للتواري، كما كان الراحل يفضل في حياته.

تبادل الجالسون بعضا من سيرته، قال أحد أصدقائه للجزيرة نت -متحفظا على ذكر اسمه- إن الراحل "لم يكن يحب أن يستطرد في سيرة تاريخه الإنشادي"، حتى إنه رغم أنه قريب جدا منه، لم يعرف قصته مع الإنشاد وشهرته القديمة إلا بعد وفاته.

ظل أبو مازن يؤذن للصلاة ويؤم المصلين في مسجد "عباد الرحمن" لسنوات طويلة، كان صوته الندي في الأذان للصلوات الخمس جاذبا، "كان رقيقا وعذبا ونابعا من القلب بصدق"، وفق الحاج سمير عبد الله، مؤدي الشعائر في المسجد حاليا، الذي أوضح للجزيرة نت أن الراحل كف عن الأذان منذ فترة للصلوات الخمس، مكتفيا بالأذان لصلاة الجمعة فقط.

واظب الراحل على إمامة صلاة التراويح في رمضان من كل عام، وهو ما جعل المسجد يكتظ بالمصلين وراءه

استمتاعا بصوته الشجي الذي "سنفتقده في رمضان المقبل وكنا ننتظره بشوق"، كما يقول المتحدث.

يتردد صدى أناشيد أبي مازن في وجدان المتحدث باسم "الجبهة السلفية" خالد سعيد، متأملا في حياته ومماته، محاولا فهم ذلك "الأثر العميق الغائر الذي تركه في قلوب جيل كامل من أبناء الحركة الإسلامية، عايش محنة الإسلام ودعوته واكتوى بنارها وعاين قتل وأسر أصحابه وأحبابه، بل وليس منهم أحد إلا ونال حظه من البطش والتنكيل."

يمضي خالد سعيد في حديثه للجزيرة نت "خلصت من ذلك التأمل إلى عدة حقائق يجمع بينها أهمية "الجانب الوجداني"، فقد أطلق الرجل كلمات الرواد النابضة بالحياة، بسهام صوته الصادحة في فضاء الأمة، ليحكي عن شجن الاغتراب في الوطن، ووحشة الأسر، وقسوة

السجان، ودم مراق، وعرض مهان، وأمة تضام، وشريعة مضيعة ومحنة موجعة."

شهرة أبي مازن الواسعة، من أيام انطلاق حنجرته بالإنشاد وهو شاب في الثانوية العامة، اقتصرت على أطياف أبناء الصحوة الإسلامية، على مستوى امتدادها الجغرافي بين جل البلدان العربية، من دون عامة الجمهور، لأنه كان "يمثل بدايات السماع لفن الإنشاد الحركي لمعظم هذا الجيل، وما تلاه من أجيال لفترة معينة، قبل أن تظهر أشرطة الإنشاد التي تستعين بالتقنيات الحديثة، ثم استعملت الآلات الموسيقية"، وفق الشيخ عصام تليمة.

وكان صوت أبي مازن في التسجيلات خافتا ضعيفا، لا يكاد يبين في عبارات معينة، لرداءة التسجيل، إلى أن جرت مجهودات لجمع معظم الأناشيد مكتوبة، في سلسلة كتب

بعنوان "أناشيد الدعوة الإسلامية"، فبدأ الناس يعرفون الكلمات المتقطعة التي لم تكن آذانهم تلتقطها بدقة.

هكذا وعى الناس كلمات أبي مازن، لكنهم ظلوا يجهلون شكله، بل واسمه الحقيقي، فأحاطت بشخصيته شائعات مناسبة لأناشيده الحماسية، فأشيع أن أتباع النظام السوري قطعوا لسانه، وكلها كانت شائعات لا أساس لها.

عبير الوعي
نصنع لك المنبر .. وعليك الصعود

أخي أنت حُرٌّ[12]

بقلم الأستاذ علي الفيفي

قلت وأقول وسأقول أن النشيد أيقونة صحويّة لا يمكن تجاوزها، جاءت بكثير من المعاني الخصبة، والحماس الديني، وشكّلت أرضيّة لنفوس متوثبة للعطاء والخير.. فلا بد من وقفة خاطفة على ضفاف النشيد..

كل من له اطلاع على فن الإنشاد يعلم أن رائد هذا الفن هو المنشد السوري الأشهر " أبو مازن ".. وقد كان هذا

(12) المصدر: موقع "الكلم الطيب" على شبكة الإنترنت.

الرائد ينشد للجهاد والدعوة من منطلق نضالي جهادي، لا لغرض فنّي، أو امتداد طبيعي لموهبة كانت مكبوتة.. كان يقرأ الدواوين الشعرية ثم إذا اجتمع عنده عدد من القصائد التي تتحدّث عمّا يعيش في روحه من هم.. وما ينبض في قلبه من دم.. وانصبغت بلحن ينبعث من داخله.. وبحرارة دفّاقة تجعل كل كلمة تنتفض بمعانٍ أخرى ليست من ضمن ما سطّره الشاعر.. إذا حدث ذلك كلّه.. ذهب إلى بيت أحدهم بمسجل قديم، وميكرفون.. ثم بدأ ينشد هو وصحبه تلك الكلمات على أمل أن تصل إلى أبناء مدينته وما حولها من ضِياع وقرى.. كان هذا أبعد طموح أبي مازن.. لم يتخيّل أن تتعدّى أناشيده نطاق دمشق ـ لم يتصوّر أن تصل إلى حمص وحلب وحماة.. وما هو أبعد من حمص وحلب وحماة..

وبعد سنوات قرر الذهاب إلى مصر والعيش فيها، وفي مصر اكتشف نفسه، وعلم أنّ أناشيده هي بالفعل ما

يردده المجاهدون في أنحاء الأرض! وبأنّ صوته صار سيمفونيّة خالدة في أرجاء المعمورة، وبأن تلك الكلمات التي روّاها بروحه قد انتفضت بالحياة.. وصار الجميع يرددها بحماس:

مسلمون.. مسلمون.. مسلمون

حيث كان الحق والعدل نكون..

نرتضي الموت ونأبى أن نهون

في سبيل الله ما أحلى المنون..

الغريب أن أبا مازن عندما خرج من سوريا.. خلع كنية أبي مازن هناك.. وتركها للأبد.. فكان يعمل في مصر ويختلط بأناس يرددون أناشيده ولا يعلمون أنّه هو من أنشدها

ذات يوم.. قرر أن يصمت.. ويترك ماضيه الدعوي لله.. فما كان لله لا ينبغي أن يُفاخر ويجاهر به..

استمع فتيان الدعوة في السعودية واليمن والكويت والبحرين ومصر والمغرب وباكستان وإندونيسيا وأوروبا وغيرها من بقاع العالم لأناشيد أبي مازن.. فحرّكت فيهم معان العزّة والصمود والإباء..

أخي أنت حرّ وراء السدود

أخي أنت حرّ بتلك القيود

إذا كنت بالله مستعصماً

فماذا يضيرك كيد العبيد

أخي قد جرت من يديك الدماء

أبت أن تذل بقيد الإماء

سترفع قربانها للسماء

مخضبة بوسام الخلود..

صبغت تلك الحنجرة السوريّة المجاهدة كل كلمات الشعراء بلحنها، فصار لا يترنّم مترنم ببيت شعر إلا وجاء على لحن من ألحان أبي مازن.. فتأثر الجيل بذلك العملاق.. الذي ابتدأ جهاده وهو في الثامنة عشر من عمره، وتوقف وهو لم يبلغ الثلاثين.. في عشرة أشرطة تحولت من كلمات إلى دماء تسري في روح الأمة..

بعدها بدأ جهاد الكلمة الملحّنة ينداح في الأرض..

وعلى خطا أبي مازن جاء أبو الجود وأبو دجانة وأبو الحسن وأبو راتب كلّهم من الشام.. يهتفون:

غضب يسري في الأوطان

يمضي يذكيه القرآن

سأعود بنور الإيمان

لأدكّ عروش الطغيان

رحّال والعزم ردائي

واللقب المحبوب فدائي

رحال والمجد أمامي

وجلال التاريخ ورائي

إيماني بالله يقيني

من غدر وخسّة أعدائي..

كتب شعراء الدعوة كلمات تنبض بالعزة والرفعة في زمن اشتاقت فيه النفوس إلى العزة والرفعة..

كتب: يوسف القرضاوي، وعبد الرحمن بارود، وجابر قميحة، وعبد الرحمن العشماوي، وحبيب اللويحق.. وغيرهم.

ونشّد: أبو مازن وأبو الجود وأبو دجانة وأبو الحسن وأبو راتب.. ثم امتدّت دائرة الإنشاد الدعوي لتصل إلى الخليج..

عبير الوعي
نصنع لك المنبر .. وعليك الصعود

مؤسسة عبير الوعي الدولية

الرؤية: إنسان فاعل في البناء الحضاري الإسلامي

الرسالة: تسعى مؤسسة عبير الوعي للدراسات والتدريب والتطوير إلى بناء وتطوير قدرات الشباب الفلسطيني من خلال تلبية الاحتياجات التدريبية، والتثقيفية، والتخصصية وفق منهجية علمية حديثة في بيئة تدريبية ملائمة.

الغايات والأهداف:

- **تعزيز الفكر الإسلامي الوسطي ومكافحة التطرف الفكري**
  - تحصين الشباب الفلسطيني بالفكر الإسلامي الوسطي.
  - مكافحة التطرف الفكري لدى الشباب الفلسطيني.
  - توريث الخبرات الإنسانية للأجيال الناشئة.

عبير الوعي
نصنع لك المنبر .. وعليك الصعود

- **إكساب الإنسان المهارات والمعارف التي تمكّنه من أداء فاعل لمهامه.**
  - إكساب الشباب الحد الأدنى من المعارف المختلفة.
  - تلبية الاحتياجات التدريبية للشباب المتعلقة بمواقع عملهم أو المواقع المرشحين لها.
  - تأهيل قيادات تخصصية في كافة المواقع والمجالات.
  - رفع مستوى المعرفة الفكرية والإدارية والتربوية لدى الشباب.
- **تطوير البنية الأساسية والإدارية للمؤسسة بما يجعلها بيئة داعمة وجاذبة للإنجاز.**
  - تكوين جسم قانوني وإداري فاعل يتحمل المسئولية القانونية في إدارة المؤسسة.
  - تطوير البناء المؤسسي بما يتلاءم مع معايير الجودة العالمية.
  - استثمار التكنولوجيا في تطوير وحوسبة العمل المؤسسي.

عبير الوعي
نصنع من الصغير .. وعليك الصعود

- **قيم المؤسسة:**

- **تربية:** نقدم التربية الشمولية لجمهرة عريضة لاكتشاف العناصر المتميزة التي يمكن أن تقود.
- **وسطية:** نحن نؤمن أن المنهج الوسطي الأكثر قدرة على تحقيق السلم المجتمعي.
- **وعي:** نحن نؤمن بأن الإنسان يجب أن يكون واعياً ومدركاً للبيئة من حوله.
- **إبداع:** نحن نؤمن أن الإنسان المثقف المدرّب إبداعياً: أعظم استثمار في مجتمعه.
- **تنمية:** نحن نؤمن أن المشكلة التنموية لا يمكن حلها إلا بصناعة الإنسان الواعي.

عبير الوعي
نصنع لك المنبر .. وعليك الصعود

عبير الوعي ..

نصنع لك المنبر، وعليك الصعود

عبير الوعي .. اسم اخترناه لجميع الدعاة الأماجد .. اسم نسعى أن يكون له حقيقة في طرحنا .. وأن يكون منهلاً ينهل منه الدعاة .. اسم له دلالات كبيرة وعميقة .. فمن معاني عبير الوعي:

هو **عزمُ الرجل وهمُّه** ... وعبيرنا هذا هو عزمة من عزمات الخير نبثها إلى الدعاة، وإلى كل مسلم ومسلمة يريد أن يعزم معنا عزمة من عزمات ربنا، ويضيف همه لهمنا الإسلامي، فنصنع منه الهمم العوالي، ونصل بعونه تعالى إلى جوزاء المعالي.

وهو **أول العمر** .. حيث النشاط اللاهب، وتوقد الفكر الجاذب، وعبيرنا هذا: وهجٌ في أفكار الدعاة، يستنطق الحريصين من إخوانهم ليمدوهم بأسباب المِضاء والتعلُّق بعُرى الوعي ..

وهو **الشجاع والسيد** .. ونرغب لعبيرنا أن يكون جريئاً مقداماً في طرح الفكر المنهجي، وسيداً في أصالته، ويُربّي سادة الدعوة وناشئتها المباركة، ويقذف في قلوبهم حرارة الفكر، ووقود الجرأة.

وهو **الصافي من نبع الدعوة** ... يروي ظمأ الدعاة على قارعة الفتن، وهجير البلاء، وله في كل خطوة ظلالٌ كبيرة من هدي السلف، وكل من كان خلفهم على درب الولاء.

وهو **الجماعة** .. وهذا مسلك لنا أصيل، به قام كيان الدين أول مرة، وبه يكون الرجوع لمزيد سيادة .. وإنه لمسلك طويل .. يُخفِّفه متاعُ الجماعة! وإنه لمسلكٌ شاق .. يهونهُ مرحُ الرفاق!

وهو **الحب الخالص** .. نبثه لكل حريص على دعوتنا، نُنمّيه في نفوسنا، وفي نفس كل حُرٍ أبّي، نزرع الحب لهذا الدين ودعوته العالمية.

وهو **الدموع الرقراقة** .. نعطِّر بها كلماتنا، وندوّنُها في صدرِ عبيرنا .. وندعو كلّ مشتاق للقاء .. أن يبسطَ فراشَ رجائه ويبثُّ به أشواقه!

وهو **اليُسر والجودة والجمال** .. وهذه منهجيتنا بمواصفات أهل الإيمان الدعوي المبارك!

عبير الوعي
نضع الى المنبر .. وعليك الصعود

تلك بعض معاني **"عبير الوعي"** .. ولكل نجيبٍ زيادة .. ونَعِدُ بتطوير ومناوشة للكمال قدر الجهد .. ومن الدعاة وأهل الخير دعوات من قلوب واعية.

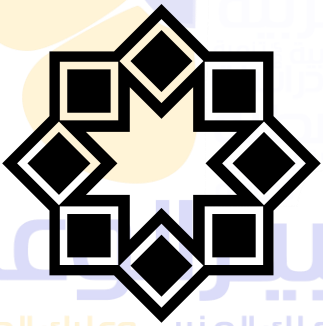

abeeralwa3e.org

abeeralwaee